ارتياب في المعادي

طوارئ 105

رواية

ديـوان العـرب للنشـر والتـوزيع

عنـــوان الكتاب: ارتياب في المعادي (طوارئ 105)
اســـم المـؤلف: محمد أبو الخير ستو
التصنيف الأدبي: رواية

رقـم الإيـــداع: 11836 / 2024

الترقيـم الدولي: 9 - 938 - 998 - 977 – 978

التدقيـق اللغوي: د. هبـة ماردين
تـصـميـم الغلاف: شيمـاء عشـــري
التنسيق الداخلي: محمد وجـيـــه
رقـــم الطـبـعـة: الطبعة الأولـى

المديـــر العام: د. فادية محمد هندومة

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع - مصر – بورسعيد
تليفون: 00201030502390
dewanalarabegypt@gmail.com

ارتياب في المعادي

طوارئ 105

رواية

محمد أبو الخير ستو

ديوان العرب للنشر والتوزيع

الإهداء

- لمن عانى وتأثر جسدياً ونفسياً من هذا الضيف اللعين..
- للبشرية جميعاً..

- إهداء خاص لأخي وقرة عيني الراحل أسامة عبد المقصود ستو رحمة الله عليه.

محمد أبو الخير ستو

****

"على أصحاب القلوب النقية أن يضعوا حداً لطيبتهم، وألا ينساق أحدهم لفكرة ملائكية البشر.. فالبشر ليسوا جميعاً ملائكة"

مقدمة

"رسالة نهى"

أنا نهى مجاهد، ابنة الحسب والنسب، كما أطلق الناس عليّ منذ طفولتي، أنا المطلقة والسجينة، وأنا من قُتلت بلا ذنب، أجل بلا أيّ ذنب قُتلت، بلا أيّ وازعٍ من رحمةٍ أو ضمير!

أما قاتلي فهو زوجي -أقصد من كان زوجي- وأما السجن فكان بيتي في حي المعادي بالقاهرة، والحسب والنسب هم أهلي المزيفون والزائفون، أعني أفراد عائلتي الذين تركوني فريسةً داخل مُعتقل شيطانٍ مُخادع وخائن، تركوني حبيسته لأنتظر ضربته القاضية!

وها هي قد جاءت اللحظة المنتظرة ليرتاح الجميع!

على من يقرأ رسالتي الآن أن يعلم أني قد غادرت الدنيا غدراً وظلماً، فإني أكتب هذه الكلمات وأنا على أبواب تنفيذ جريمته، فهو على مشارف الاحتفال بمقتلي، سيفعلها لا محالة، سيقضي عليّ دون أن يشعر بمقتلي أحدٌ من الناس!

لقد قتلني الخائنُ مرتين قبل الضربة القاضية، الأولى كانت بدمٍ باردٍ حين أخبر الناس بأنني جُنَّ جنوني، فصدّق الناسُ كذبَهُ وافتراءَهُ، حتى أقربُ

الأقربين صدقوه، ابتعدوا عني خوفاً من وصمة جنوني المؤذية، وأما الثانية فكانت الأشد والأصعب؛ حين قتلني الخائن بحرماني من أطفالي الصغار!

بجانب هذا الخطاب تركت "فلاشة" بداخلها ما يثبت صدق رسالتي الأخيرة في هذه الحياة، تركت بها دلائل عن حقيقة هذا الخائن، فبها تسجيلات لمكالماته الهاتفية، بها كل مصائبه وجرائمه بحقي وحق الناس والوطن، فلقد كشفته، هذه الحقيقة، فضحتُ أمره، لذا لا أشك في أنه سيقتلني، وأنتظر ذلك بفارغ الصبر!

أحيطكم علماً بأني لا أخاف الموت، بل أنتظره ولا أهابه!

أعلم أنه لن يُترَك بجرائمه، فكيف يعيش خائن للوطن، كيف يُستأمن من باع تاريخ وآثار بلاده للأعداء بطرقٍ ملوثة، ليجلب بمقابلها سموماً قاتلة ملأ بها البلاد عبر منفذه غير القانوني ليقتل بها مستقبل وزهرة شباب هذه البلاد!

رجاء.. أرجو من المحقق ألّا يترك حقي يذهب هباءً، ستذهب روحي شاهدةً عليه وعليكم في حال تنازلكم عن حقي، إن مات جسدي دون قصاص لن تموت روحي، ستنتظر فرصة الانتقام من الجميع!

رسالتي الأخيرة لصغاري، أوصيكم بأن تكونوا رجالاً، لا تكونوا مثله، وأعتذر لكم على اختياري الخاطئ، آمنوا أنّ أمكم هي الضحية والبريئة وأباكم هو المزيف والطاغية وهو الجاني، تذكروا أنه من جعلني خبيئة، حبيسة ووحيدة مثل طيرٍ منبوذٍ يبتعد عنه جميع السرب!

أخيراً.. شكراً لحامل الرسالة، عملك عظيم وستعلم غداً أنّ الله سيجزيك عنه خير الجزاء.

بخط يدي:

"**نهى مجاهد**"

****

١) كارثة

"غامض ومُبيد وقاتل للبشرية"

في مطلع عام **2020**، استيقظت مصر ودول العالم على كارثةٍ كبرى، راح ضحيتها مئات الآلاف من البشر وذاقَ مرارةَ الإصابةِ بها ملايينٌ من البشر على مستوى دول العالم، كانت كارثةً بحق على البشرية جمعاء، البداية كانت في الصين عند ظهور فيروس غامض، ومنها انتشر كالنارِ في الهشيم بين بلدان العالم، فأصبح الغامض مُبيداً وقاتلاً للبشرية!

في هذه الأوقات العصيبة، ذاع صِيتُ الرعب والفزع في قلوب البشر، وبات الخوف والترقب والاستعداد لخطر الموت أمراً وشيكاً قادماً لا محالة!

عُرِف الفيروس القاتل علمياً باسم "كوفيد **19**"، وعُرِّف شعبياً باسم "كورونا"، ومع تناقل الأخبار الصادمة عن بشاعة الفيروس وقدرته على الفتك بالبشر، اتخذت دول العالم اجراءاتٍ احترازية شديدة القسوة لحماية شعوبها من هذا العارض المُظلم، فتوقف النقل البريّ والبحريّ والجويّ بين البلدان، وتوقفت الطائرات عن التحليق، وأرست السفن في موانئها، ما أدى إلى بقاء كل شخصٍ بموقعه إلى أن يجدَّ بالأمر جديد!

تبع ذلك إجراءاتٌ عالميةٌ أشدُّ قسوة كمنع التجمعات، وحظر التجوال في الشوارع، وكذا التحذير من اختلاط البشر بعضهم ببعض، وأُغلقت دور

العبادة ودور المناسبات، وتم فرض القيام بالأعمال من المنازل.. وغيرها من إجراءاتٍ أخرى شديدة القسوة!

كان حدثاً جللاً، وواقعاً مؤلماً على العالم أجمع، ذلك العالم الذي لم يرَ ساكنوه خطواتٍ إجباريةً مثل هذه من قبل! فأصبحت الكرة الأرضية بين ليلةٍ وضُحاها خاويةً تماماً من البشر، وبات الكل في المنازل يشاهد خواء العالم في مشهدٍ عجيبٍ لم يحدث من قبل!

لم تَسلَم مصر من هذا الضيف اللعين، فرفعت البلاد مثل غيرها حالة الطوارئ، وألزمت الدولة مواطنيها بالبقاء بالمنازل وعدم الخروج إلا في الحالات القصوى مع الالتزام التام بالإجراءات الاحترازية الشديدة، بالإضافة إلى نشر حملاتٍ إعلاميةٍ على مدار الساعة لتوعية المواطنين بخطورة الفيروس القاتل!

على أثر ذلك، قامت وزارة الصحة المصرية بنشرِ بيانٍ عاجلٍ، أوضحت به أنها قامت بتفعيل خدمة هامة للمواطنين لمواجهة خطر فيروس كورونا، حيث جاء نص البيان كالتالي:

- تنبيه هام للسادة المواطنين.. من يشعر بأعراض فيروس كورونا عليه الاتصال برقم الطوارئ المجاني **105** التابع لوزارة الصحة.

نشرت الوزارة بيانها ليلاً ونهاراً على جميع الوسائل الإعلامية المقروءة والمسموعة، وأصبح رقم الطوارئ يستقبل آلافاً، بل مئات الآلاف من الاستغاثات على مدار اليوم، فمن المستغيثين من كان يشعر بارتفاعٍ في

درجة الحرارة، ومنهم من أصيب بالسعال وغيرهم بضيق التنفس.. وأعراضٍ أخرى، منها ما أشار إلى الإصابة الحتمية بالفيروس، ومنها ما كان شكوكاً لأعراضٍ شبيهة!

ولأنّ الخوف والهلع كان مُسيطراً على المواطنين في مصر بشكلٍ مُرعبٍ؛ استقبل الخطُ الساخنُ استغاثاتٍ هاتفيةً لا تُعد ولا تُحصى على مدار اليوم، خاصةً بعد مشاهدة المواطنين عبر الشاشات دول العالم تُعلن يومياً عن أعدادٍ لا حصر لها من الوفيات جراء الفيروس الذي أعلنت منظمة العالمية فقدان السيطرة عليه، لذا بمجرد شعور أحدهم بعلامةٍ ما من العلامات المُشار إليها لا يتوانى عن الاتصال برقم طوارئ وزارة الصحة يستغيث!

ويوماً بعد يوم صار الضغط الهاتفي شديداً على رقم الطوارئ، ففعلت وزارة الصحة المصرية خطوطاً إضافية بإداريين كثيرين لاستقبال هذا الضغط الهائل من الاستغاثات، ومن بين هؤلاء الإداريين (مستقبلي الاستغاثات) شاب في مقتبل العمر يُدعى "وليد الصباغ"، وكان شاباً بسيطاً من الشباب المصري المُكافح الذي لا يبحث إلا عن لقمة العيش (كما يقول الناس في مصر)، لكن انتقال وليد إلى خدمة الطوارئ جعله يمر بتجربة مريرة لم ينسَها طيلة حياته!

****

٢) طوارئ

"ضغطٌ وإرهاقٌ وسيلٌ عارمٌ"

في مساء يوم ٢٦ يونيو 2020، وتحديداً في الساعة 11:30 مساءً، كان وليد الصباغ يمارس عمله اليومي المُعتاد بمكتبه الإداري الصغير بإدارة طوارئ وزارة الصحة، فكان أمامه كالعادة حاسوب وهاتف لاستقبال المكالمات، وكان يبدو على ملامحه أنه مُنهكٌ من هذا الضغط الهائل، وذلك السيل العارم من الاتصالات!

(وليد شاب يبلغ من العمر 35 عاماً، عازب، يعيش وسط عائلته بمنطقة شبرا بقلب القاهرة، والده أحمد الصباغ، رجلٌ بالمعاش، ذو خُلقٍ حسنٍ وسمعةٍ طيبةٍ، ووالدته إحدى سيدات مصر العظيمات، صاحبات القلوب الطيبة والفطرة السليمة، وله شقيقةٌ وحيدة وتدعى "ليلى" وهي تدرس في العام الأخير من كلية الطب).

بجوار مكتب وليد مُباشرةً، يجلس زميله وصديقه "حمزة "، أمامه مثل صاحبه ويعمل مثلما يعمل تماماً، ومثلهما يقوم باقي زملاؤهما بالجوار بنفس المهام.

تتلخص مهام وليد وزملائه في الإجابة على الهاتف وتحويل الاستغاثات العاجلة من الحالات المُصابة بالفيروس إلى أقرب مستشفى، وبالتبعية

تُرسِل المستشفى سيارة إسعاف مُجهزة لنقل الحالة في أسرع وقتٍ ممكن لأقرب حجرٍ صحيّ!

(الحجر الصحيّ هو مكان يُعزل فيه تحمل خطر العدوى بفيروس ما، وتتوقف مدة الحجر الصحيّ على الوقت الضروريّ لتوفير الحماية، ويشير الحجر الصحيّ في سياق الرعاية الصحية إلى مختلف الإجراءات الطبية المتبعة لإحباط انتشار العدوى التي قد تنتشر بالمستشفيات).

سأل حمزة صديقه المُقرب:

- هي الساعة بقت كام يا وليد؟

أجاب وليد بضيقٍ:

- يادي النيلة، ما تبص في المليون ساعة اللي حواليك دول يا جدع، هو مفيش غيري كل دقيقة تسألني الساعة كام.. الساعة كام!

حمزة مبتسماً:

- بحبك يا صاحبي، وبهون عليك لحد ما الشيفت يخلص.

وليد:

- وأنا كمان بحبك يا حمزة، بس انزل من دماغي عشان أنا مش قادر أرد عليك أصلاً، وعاوز أمشي قبلك، أنا أصلاً فصلت جداً!

وأردف بابتسامة:

- عموماً الساعة ١١ ونص يا سيدي وباقي نص ساعة ونمشي.

حمزة:

- طب أنا هطلع أشرب سيجارة على السريع كده في الكولودور!

اقترب حمزة من وليد وهمس بصوتٍ منخفض:

- حول الخط بتاعي عندك عشان لو المدير لف وما لقنيش هينفخني!

وليد بصوتٍ مرتفع:

- بالسلامة يا أخويا، وهات لي قهوة سادة دوبل وأنت جاي.

حمزة:

- بس، بس وطي صوتك هتفضحنا!

وأردف بسخرية:

- وبعدين أنت عاوز قهوة وسادة ودوبل التلاتة.. طب هاشيلهم إزاي أنا بقا؟!

وليد بضيق:

- مش هرد عليك، والله ما أنا رادد عليك، عشان لو رديت هزعلك يا خفيف!

حمزة بمرحة المعتاد:

- ياض اضحك عشان تعدي، ماتعقدهاش كده يا معقد!

تحرك حمزة نحو باب الخروج متمتماً:

- دوبل.. ده أنت ليلتك دوبل يا دوبل!

****

٣) صديقان

"مُهتمٌ بتفاصيلها غير مُبالٍ بِجَدِها"

وليد وحمزة صديقان حميمان منذ الطفولة، حيث النشأة في شارعٍ واحدٍ بمنطقة شبرا، ثم الدراسة والعمل بمكانٍ واحدٍ، معروفان بين الناس بأنهما أقرب من إخوة، فالصداقة كلمة لا تصف مدى ارتباطهما معاً، هما مُكملان لبعضهما بالرغم من أنهما مُختلفي الطباع، وليد هادئ بطبعه ومتزن، عكس حمزة ذي الطابع المَرِح والأكثر حيوية، فالأول يهتم بتفاصيل الحياة والثاني لا يُبالي بواقع جَدها، ولكنهما متوازيان في حالتهما الاجتماعية، فوضعهما المادي متوسط، راتبهما بالكاد يكفي أيام الشهر الثلاثين، يعملان سوياً إداريَين بوزارة الصحة منذ ثلاث سنوات، وبسبب الفيروس المنتشر وضعتهم الوزارة مع مجموعة كبيرة من الإداريين كمستقبلي استغاثات!

تبدأ وردية عمل الصديقين يومياً من الساعة الخامسة مساءً وتنتهي في الثانية عشر من منتصف الليل، عمل شاق ذهنياً عليهما، يُعانيان الأرق كل ليلة من ضغط المكالمات الهاتفية التي لا تتوقف، بيد أنهما لم يتخاذلا عن آداء واجبهما الإنساني قبل الوظيفي في ظل الظروف العصيبة التي تمر على العالم أجمع، فالوضع خارج مبنى الوزارة كان كفيلاً بالصبر والتحمل والمسؤولية!

صارت الليلة في أولها وقرب نهاية وردية عملهما بشكلٍ طبيعي مثل الليالي الماضية، فمجرد أن تأتيهما الاستغاثة والتأكد من أعراض المستغيث، يرسلان سيارة إسعاف للشخص المصاب، وهكذا يومياً يحدث، حتى هذه الليلة العجيبة!

في هذه الليلة، كان وليد يشعر بالإرهاق البدني والذهني أكثر من أي يومٍ ماضٍ، كان يأمل فقط أن يمضي الوقت سريعاً كي يذهب إلى منزله ويخلُد إلى نومٍ عميق، عكس صديقه المُتعطش للمضي قدماً لاستكمال السهرة في مكانٍ آخر!

اشتدّ الضغط الهاتفي على وليد أكثر في الوقت الذي ذهب فيه حمزة للتدخين وجلب القهوة، فالخط الواحد أصبح اثنين، فظل يستقبل المكالمات الاستغاثية بلا توقف، جاءته مكالمة من حالة تستغيث وتشعر بنفس الآلام التي أُعلن عن دلالة أعراضها بالإصابة بالفيروس، وبالفعل حولها لأقرب مستشفى، وبالتبعية أرسلت سيارة إسعاف للمريض لإجراء بعضٍ من المسحات والفحوصات الطبية الخاصة بالفيروس!

واستمرّ الضغط على هاتفيّ وليد من أشخاص تستفسر عن أعراض الفيروس وطرق الوقاية، ومكالمات أخرى مُشتتة وقلقة كهذه المكالمة:

وليد:

- مساء الخير، وليد الصباغ، طوارئ وزارة الصحة

المتصل:

- أيوه.. مساء النور، ابعتلي الإسعاف عشان أنا عندي كورونا!

وليد:

- مش لما أعرف بس اسم حضرتك الأول، وبتتكلم منين، والأعراض حاسس بيها حضرتك يا فندم.

المتصل بعصبية:

- بقولك عندي كوررررونا أنت مبتسمعش!

وليد:

- لا بسمع كويس حضرتك، بس أنا لازم أعرف إيه الأعراض اللي عند حضرتك الأول عشان أقدر أساعدك.

المتصل:

- عندي وجع جامد في جنبي الشمال يا سيدي، واسمي عبد العال الزفتاوي، وساكن في الوايلي. وأضاف بضيق: خدمة تانية يا سيدي، ابعتلي الإسعاف بقا!

تنهد وليد بسخرية، كاد أن ينفجر ضحكاً، لكنه تماسك وأجاب بهدوء:

- أستاذ عبد العال الألم اللي عند حضرتك ده مش عرض من أعراض فيروس كورونا.

وانتظر قليلاً وأردف: هحاول أساعد حضرتك، خليك معايا على الخط، هحول المكالمة لطوارئ مستشفى الوايلي وهيقدموا لحضرتك المساعدة اللازمة.. تحت أمرك يا فندم.

وأغلق الخط بعد تحويله للمستشفى؛ في أثناء ذلك عاد حمزة بالقهوة ليجد وليد يتحدث مع نفسه، فتعجب قائلاً:

- قهوتك الدوبل يا نجم وزارة الصحة.

وأردف بسخرية:

- إيه ده يابني أسيبك شوية آجي ألاقيك بتكلم نفسك، إيه اتجننت ولا إيه.. لا حول ولا قوة إلا بالله!

وليد:

- دي حاجة تجنن أقسم بالله، ده عبد العال الزفتاوي!

حمزة:

- أيوه! ده مين! بيجي في التلفزيون يعني ولا إيه؟ ماله ده؟

وليد:

- ده يا سيدي جنبه بيوجعه وفاكر إن عنده كورونا.

حمزة بسخريته المعتادة:

- الواد قلبه بيوجعه وعاوز حد يدلعه!

وأردف: حولي الخط يا بني قبل ما يحصلي حاجة منك ومن الزفتاوي بتاعك!

وقبل أن يضع وليد يده على زر تحويل الخط إلى حمزة، جاءه الاتصال الذي سيُغير مجرى حياته القادمة!

٤) استغاثة

"الصوت أنثى وصداه مهزوزٌ آسفٌ"

أجاب وليد المتصل:

- مساء الخير يا فندم، وليد الصباغ، طوارئ وزارة الصحة مع حضرتك..

المتصل.. لا يجيب

وليد:

- ألو.. ألو

كاد وليد أن يغلق الهاتف، إلا أن المتصل فاجأه بعد صمت قائلاً:

- تعبانة!

ارتبك وليد من الصوت ومن إيجاز الكلمة، فالصوت أنثوي والكلمة مهزوزة، تمالك نفسه قليلاً واستكمل:

- أيوه يا فندم، تحت أمرك، أعراض حضرتك إيه؟

المتصلة بعد صمت آخر:

- خايفة!

وليد بارتباكٍ وفي محاولة للثبات، أعاد السؤال:

- أقدر أساعد حضرتك في إيه؟

المتصلة تعيد الكلمة الأخيرة بصوتٍ مرتعش:

- خايفة!

بكت المتصلة، فاندهش وليد مما يحدث، لم يعلم ماذا يقول، إلا أنه أردف بهدوء:

- طيب ممكن حضرتك تهدي بس وتقوليلي أقدر أساعدك في إيه؟

المتصلة بصوتٍ مرتفع وباستغاثة:

- بقولك الحقني!

وأغلقت المكالمة، واندهش وليد وتعجب مما حدث، شرد قليلاً، قبل أن يُفاجئه حمزة قائلاً:

- أخونا.. رُحت فين؟

وليد بتعجب:

- حاجة غريبة! دي واحدة بتقولي ساعدني ومحتجالك وتعبانة وبتبكي!

حمزة بسخرية:

- طب رجعلي الخط بتاعي يا ابن المحظوظة، هي أصلاً المكالمة دي كانت ليا أنا، بس الحظ بقا، ما هو المثل بيقول الحظ لما يآتي يخلي الأعمى ساعاتي!

وليد بعصبية:

- مش وقت هزار ياخي دلوقتي، الست دي فيها حاجة مش طبيعية!

بعد صمت، قال وليد لحمزة:

- إيه رأيك آخد رقمها الظاهر على الشاشة وأشوف إيه الموضوع؟

حمزة:

- ماشي هات رقمها بسرعة وتعالى نكلمها برة واحنا ماشيين، احنا يا دوب نمشي أصلاً، الساعة بقت 12 ، بس حولي الخط الأول بسرعة قبل ما الرجالة اللي هتستلم ورانا تعرف إني كنت محوله عندك، ويارتني ما حولته يا محظوظ يا ابن المحظوظة!

وليد خوفاً من استهتار صديقه:

- لا يا عم رقم إيه اللي هنجيبه ونكلمه من برة، يلا نمشي، وآدي الخط بتاعك أهو.

حمزة:

- تصدق أنا اللي غلطان، كنت عاوز أريحك وأشوف اللي كلمتك دي فيها إيه، وأخوك قلبه ضعيف قدام الجنس اللطيف!

وليد:

- آه ضعيف، مانا عارف، أنت هتقولي، أنا متأكد إن طردنا من الشغل هيكون بسببك!

حمزة:

- طب يلا بينا عشان أنا ميت من الجوع.

وليد:

- يلا بينا.

****

٥) تشريح

"شرود وحيرة وإرهاق زائل"

خرج الصديقان من العمل يتمازحان كعادتهما كل ليلة، إلا أن أحدهما اليوم كان في عالمٍ آخر، فالمكالمة الغامضة سببت له صمتاً على غير المعتاد، حاول حمزة بسخريته المعتادة أن يخرج وليد من حالته الصامتة منذ الخروج من العمل، إلا أن وليد أفلت من ضغطه مُتعللاً بإرهاقٍ بدنيٍّ أصابه!

ما تعلل به الصديق لصديقه كان كاذباً، فقد زال الإرهاق وحل محله الشرود والحيرة بعد الاتصال الأخير؛ في النهاية ذهب كلٌّ في طريقه، فبالرغم من إقامتهما بمنطقة شبرا، إلا أن حمزة قطع طريقاً آخر بعيداً عن وليد، حيث أخبر الأخير بأنه ذاهبٌ للسهر مع أصدقائه، أهل الليل وآخره كما سماهم!

تقريباً كل ليلة يسير حمزة في هذا الطريق المخالف لصديقه، يذهب لآخرين مختلفين عن أقرب الناس إليه، تتسم سهراته معهم بالمزاج، فلا تخلو ليلةٌ من الكيف بجميع أنواعه، هكذا كانت سهراتهم كل ليلة حتى يأتي الصباح فيذهب كلٌّ في طريقه!

لا يعلم وليد شيئاً عن تلك السهرات سوى ما أخبره به حمزة حين قال له ذات ليلة:

- بنلعب طاولة طول الليل واللي بيخسر بيشيل الليلة!

لم يتأكد وليد أن صديقه يسير في الطريق الخطأ، إلا أنه كان يشعر بأنّ هناك شيئاً ما يُخفيه عنه، حاول كثيراً أن يعلم إلى أين يذهب ومن هؤلاء أصدقاؤه الجُدد لاعبو الطاولة ولم يصلِ لشيء!

لكن الليلة مختلفة، لم يكن يشغله لاعبو الطاولة ولا حمزة، فقط كانت المستغيثة هي من سيطرت على عقله طول الطريق حتى دلف إلى منزله في الواحدة صباحاً!

في المنزل وجد والديه كالمعتاد في سُباتهما العميق، لم تكن مستيقظة إلا ليلى أخته الوحيدة، تلك الروح التي تعرف عن أخيها الوحيد كل شيء، فهي فقط دوناً عن البشر مخبأ أسراره.

دق وليد بابها برفق واستأذنها للدخول فأذنت له.

وليد مُبتسماً:

- دكتورتنا القمر ليه صاحية لحد دلوقتي؟

ليلى:

- عندي عملي بكره ومسحولة في التشريح!

وليد بتعجب:

- تشريح!

وأردف بحدة:

- يا ليلتك اللي ملهاش ملامح، تشريح إيه يا بت اللي بعد نص الليل ده، ده أنتِ قلبك ميت!

ليلى:

- ده التشريح ده العشق بتاعي يا شق!

وأردفت:

- تعالى قرب وأنا أشرحلك إزاي بنشرَح الجثث!

وليد:

- جثث وتشريح يا ريتنا ما كنا دخلناكِ الطب!

وأردف بقلق:

- ابعدي البتاع ده عني، أنا هدخل أنام أحسن!

ليلى:

- طب خلاص ما تخفش، هعملك سندوتشين معايا وكوبايتين شاي نضربهم كده عشان أنا مطبقة للصبح.

وليد:

- طب خلينا في الصالة، أحسن الواحد جتته مش خالصة من المتوفي اللي قاعد في وسطنا ده!

ليلى:

- جمد قلبك يا ليدو، أمال لو مكنتش بتشتغل في وزارة الصحة!

وليد:

- يعني دكتور في وزارة الصحة يا ليلى، ده أنا حتة موظف برد على التليفون لا رُحت ولا جيت!

ليلى بحماس:

- لا.. لا.. لا، أنت أهم من أي دكتور في الدنيا يا أحن أخ في الدنيا، خلي بالك أنت بتنقذ آلاف البشر ولولا وجودك وزمايلك كان ناس كتير راحت من غير ما حد يحس بيهم.

وأردفت بحنان:

- ربنا يخليك لينا يا حبيبي

وليد:

- حبيبتي يا رب متحرمش منك أبداً، طب أنا هدخل أغير هدومي على ما تجهزي السندوتشات، وياريت بسرعة عشان مسقط خالص ونفسي أنام.

****

٦) ضمير

"يَنشأ الصَغيرُ على ما كانَ وَالدهُ..
إنّ العـروقَ عليهـا يَنبُتُ الشّجَـرُ"

يقول أحد الحكماء: "ينشأ الصغير على ما كان والده، فإنّ العروق عليها ينبت الشجر"، هذا ما ينطبق على وليد وليلى حرفياً، فوالدهما صالحٌ بحق، رجلٌ معروفٌ في حي شبرا بأخلاقه الحسنة وطيبته، وكذلك الأم تمتلك الطيبة نفسها، والعطف، والفطرة، والهوية المصرية الأصيلة، أما ليلى فهي فتاة مُميزه بمعنى الكلمة، دائماً مجتهدة، تعرف هدفها من الطفولة، تسعى إليه بذكاء، بحماس وقوة، دائماً في المراتب الأولى في مراحل التعليم المختلفة طيلة سنوات عمرها الماضية، لم تُحدِث يوماً مشكلةً واحدة، هي مثال فخر للعائلة كما يلقبونها.

أتت ليلى بالعشاء والشاي فوجدت وليد يقلب بهاتفه ويبدو من شروده أنّ شيئاً ما يشغله، لم تأخذ ليلى وقتاً لتعرف أنّ أخاها مختلفٌ الليلة على غير عادته، فقالت:

- اتفضل يا باشا شايك وساندويتشاتك.

بعد شرود وصمت شكرها، ففاجأته قائلة:

- مش عارفة حاساك النهارده فيك حاجة شاغلة عقلك، مالك يا شق؟

بعد صمت وتنهد، قرر وليد إزاحة ما يحمله صدره منذ المكالمة الغريبة:

- ضميري بيأنبني والله، لكن أنا مش في إيدي حاجة!

تركت ليلى ما في يديها وسألته بتعجب:

- إيه الكلام الكبير ده! إيه اللي حصل؟

قصّ لها ما حدث تفصيلياً من صاحبة المكالمة المجهولة، وعن حالته من وقتها، وأفاض بإحساسه النادم أنه كان يأمل في أن يساعدها.

قالت ليلى بحكمةٍ نافذة:

- وأنت كنت هتعمل إيه! وذنبك إيه أصلاً!

وأردفت:

- هي مقلتش هي تعبانة عندها إيه بالظبط.. وهي لما استغاثت بالطوارئ كان المفروض تقول بالظبط تفاصيل تعبها وعنوانها واسمها وكده!

وأضافت:

- وبعدين أنت بتقول إنها قفلت المكالمة من غير ما تتكلم عن التفاصيل دي، يبقى سيادتك تكبر دماغك، ومتندمش على حاجة أنت ملكش ذنب فيها.

وليد محاولاً الاقتناع:

- فعلاً عندك حق، مش عارف أنا واجع دماغي ليه، أنا ماليش ذنب في حاجة، أنا عملت اللي عليا وهي اللي قفلت المكالمة من غير ما تقول تفاصيل.

أكَّدت ليلي على حديثهما قائلة:

- بالظبط!

نظرة الأخت لأخيها كشفت ما يحمله من اضطراباتٍ وحمولٍ ثقيلة لشابٍ كان متزناً، قبل أن يفقد كثيراً من شغفه للحياة وحماسة شبابه داخل وظيفته الإدارية!

ليلى تعلم أنّ أخاها كان يأمل في مستقبلٍ أكثر إشراقاً من محبسه الوظيفي، لكنها لم تكن يوماً مصدراً لإحباطه، بل كانت أكثر الناس دعماً وتشجيعاً له بأنّ غداً سيُحقق أحلامه!

حاول وليد تغيير دفة الحديث فسألها:

- بابا وماما أخبارهم إيه، نايمين من بدري ليه النهارده؟

فهمت الأخت سريعاً مراوغة أخيها فغيرت هي الأخرى الدفة قائلة:

- أنت تايه عن ماما.. كالعادة يادوب صلت العشا وطارت مع الملايكة في سابع نومة، وبابا حصلها من شويه كدة.

ابتسم وليد قبل أن يودعها متوجهاً إلى غرفته، تاركاً إياها مع جثتها وتشريحها!

٧) رؤية

"أخلص النية ترى..."

بداخل غابة كبيرة مليئة بالأشجار والمتاهات، يركض وليد بأقصى سرعة، في حين تركض خلفه سيدةٌ بعزمٍ شديدٍ في محاولةٍ منها للحاق به، لا يعرف وليد من يركض من ورائه، لكنّه يشعر بأنّ أحداً يحاول اللحاق به، يبدو له بأن الصوت اللاهث من خلفه يثير فضوله للنظر أو للالتفات، لكنّه لم ينظر ولم يلتفت، فقط واصل الركض داخل متاهات الغابة دون أنْ يعيرَ اهتماماً لاستغاثاتٍ مشوشةٍ آتيةٍ من الخلف، حتى سمع استغاثةً واضحةً مِمن تركض خلفه بلهفة:

- الحقني.. الحقني!

هدَّأ وليد من سرعة ركضه لشعوره بأنّ صوت المرأة التي تستغيث به ليس غريباً عنه، تهادت خطوات ركضه دون أن يتوقف، التفت خلفه بهدوء فرآها، وكانت كإحدى حوريات الجنة تبكي وترفع يديها استغاثةً به ليتوقف!

كان يرتعش وكان يلهث، كأنّه كان محموماً أو هارباً؟ لم يكن يعرف مِمن يهرب؟ أو إلى أين هو ذاهب؟ ومن أي شيء يركض هكذا دون توقف؟ حتى اصطدم بشيءٍ ما فتوقف!

- وليد.. يا وليد.. اصحى يا بني.. كل ده نوم!

استيقظ مرتعشاً، التقط أنفاسه المتسارعة ركضاً في منامه، نظر حوله فوجد أمه تجلس بجواره على حافة فراشه تحاول إيقاظه!

دقق النظر إلى أمه بعد أن انفزع فجأة، فرك عينيه ليتأكد أن ما رآه منذ قليل لم يكن إلا كابوساً مزعجاً!

أمسك بيدِ أمه وقبلها قائلاً:

- صباح الخير يا ماما.

أحاطت الأم ولدها بعطفٍ، قائلةً:

- صباح النور عليك يا حبيبي.

وأردفت:

- كل ده نوم يا بني، أنا عمري ما شوفتك نايم كتير كدة!

أجابها وليد قائلاً:

- معلش يا ماما، كنت مرهق شوية امبارح، هي الساعة كام دلوقتي؟

الأم:

- الساعة داخلة على الضهر أهي، قوم يلا يا حبيبي على ما أحضرلك الفطار.

وليد:

- ماشي يا ست الكل، ربنا يخليكِ لينا يا رب.

ذهبت الأم وتركته، فاستعاد عقله تفاصيل كابوسه المُنقضي، فعادت إليه الرعشةُ والفزع، إلا أنه استعاذ الله وهَمّ من فراشه إلى خارج غرفته، وجدَ

أباه جالساً يصلي في منتصف صالة المنزل، جلس بجواره حتى انتهى من صلاته، قَبّل يديه، وسأله الدعاء قبل أن يجلسا سوياً مع الأم أمام منضدة الطعام.

تناول وليد الطعام بنهمٍ غير مُعتاد، كان يأكل كمن لم يذق الطعام منذ أيام، فأثار تعجب والديه الجالسين بجواره، فبادره الأب بالسؤال:

- مالك النهارده يا بني!

وأضاف بتعجب:

- أنت كنت جعان أوي للدرجة دي؟

ووجه سؤالاً لزوجته:

- هو متعشاش يا حاجة لما جه من شغله امبارح ولا إيه؟

الأم:

- والله مانا عارفة، مع إني قولت لبنتك قبل ما أنام تعشي أخوها لما ييجي!

وليد:

- لا اتعشيت، ليلى عملت الواجب يا ماما متقلقيش، أنا فعلاً صاحي واقع من الجوع كأني كنت في ماراثون جري طول الليل!

اندهش الوالدان، لكنهما تجاهلا اندهاشهما لمعرفتهما التامة بابنهما الذي لا يُحب الكثير من الأسئلة!

انتظر الوالدان بجوار ابنيهما حتى انتهى من إفطاره، ولما انتهى ذهب الأب وابنه إلى شرفة المنزل كعادة كل يوم، لكن اليوم كان مختلفاً، فالابن ظلّ مصوباً نظره بعيداً عن والده، كان ينظر من شرفتهم المُطلة على شارع شبرا الرئيسيّ، كان وليد يمدُ بصره على المارين أسفل المنزل في شرودٍ وتجهم!

****

٨) تعليق

"شرودٌ بين واقع وخيال"

ظن وليد أنه في الصباح سينسى مكالمة الأمس، كان يتخيل أنه سيعود كما كان سريعاً، إلا أن كابوسه أيقظ عقله بمستغيثة الواقع والأحلام، حاول الربط أثناء الشرود والتجهم بين الحلم والحقيقة ولم يستطع الوصول للمعنى أو تصريفٍ للمعنى، كان واضحاً أنه غارقٌ في عالمٍ آخر غير ما كان عليه يعيش في السابق، كان تائهاً بين واقعٍ وخيال، حتى قطع والده أحبال صمته وشروده بخبر قرأه للتو بالجريدة التي في يديه، قائلاً بصوتٍ مرتفع:

- مصر تسجل أمس أكبر عدد من الإصابات بفيروس كورونا، حيث سجلت وزارة الصحة ما يقرب من ٢٠٠٠ حالة مُصابة و٤٦ حالة وفاة!

عاد الابن للجلوس مباشرة أمام أبيه قائلاً:

- الأرقام امبارح كانت كتيرة فعلاً يا بابا.. أول مرة مصر توصل للرقم ده!

وأردف:

- كل يوم الأعداد بتزيد، ودي بس الأعداد اللي بلغتنا عن إصابتها، وما خفي كان أعظم، فيه ناس كتيرة عندها الفيروس وفاكراه دور برد عادي وبياخدوا الموضوع باستهتار!

وأضاف:

وبعدين المشكلة إن مستشفيات الحجر الصحي بقت على آخرها، ربنا يستر من اللي جاي!

اقتربت الأم حاملةً أكواب الشاي، وانضمت لحديثهم قائلة:

- ولسه ملقوش علاج للزفت ده يا بني؟

وليد:

- لا يا ماما لسه، الوضع صعب والكارثة كبيرة جداً، خدوا بالكم من نفسكم أرجوكم، وبلاش نزول للشارع لأي سبب وأنا هجبلكم كل اللي أنتوا محتاجينه.

الأب:

- يا بني هو فيه حد بيموت ناقص عمر.. اللي ربنا كاتبه هو اللي هنشوفه.

الأم:

- ربنا يسترها يابني ويعديها على خير، خلي بالك أنت من نفسك يا وليد يا بني، أنت اللي شغلك مع العيانين.

ابتسم وليد وأبوه على فطرة حديث الأم، فطمأنها قائلاً:

- يا ماما يا حبيبتي، أنا مش بشوف عيانين خالص، أنا بسمع صوتهم بس!

في هذه اللحظة، دلفت ليلى قادمةً من الجامعة فجلست بجوار أخيها، كان بادياً عليها الإنهاك والإرهاق، إلا أنها بادرتهم بسؤال بعد أن استمعت إلى آخر كلمة في حديثهم، قائلةً بابتسامتها المعتادة:

- صوت مين يا ليدة، هو أنت لسه بتفكر في صوت امبارح ولا إيه.. مش قولنا دي واحدة بتتسلى!

صدمت جملتها الأخيرة الجميع، نظر الوالدان إلى الابن في حيرةٍ واندهاش، أما وليد فكان يود في هذه اللحظة أن يطلق الرصاص على من يظنها أذكى وأفطن من ذلك!

حين رأت ليلى هذا الصمت المفاجئ للجميع، علمت أنها أخطأت، وبسرعة بديهة قالت:

- اللي اتصلت على موبايلك بالغلط امبارح بليل.. قصدي كانت واحدة يعني بتعاكسك وكده!

تنفس وليد الصُعداء، وقال:

- أيوه مانا قفلت الموبايل ونمت.. ماحنا بقينا في زمن البنات هي اللي بتعاكس دلوقتي!

وأردف وهو ينظر بغيظٍ إلى ليلى:

- ما هي البنات اتجننت!

حاول تغيير دفة الحديث، فسألها بسخرية:

- جيتي بدري ليه يا هانم؟ لحقتي تقطعي الجثة بالسرعة دي؟

الأم:

- اللّٰهُمَّ احفظنا.. جثة إيه يا ولاد!

ليلى:

- سيبك يا ماما من الكلام ده.. ده لا بقا فيه جثة ولا يحزنون!

وأردفت:

- طلع قرار النهارده بتعليق الدراسة!

الأب بتعجب:

- يعني إيه الكلام ده بقا؟ لغوا الدراسة يعني؟

وأضاف:

- يبقا كده كملت، الجوامع والدراسة والمصالح وكل الدنيا وقفت خالص، وآخرتها إيه بقا.. يا رب عديها على خير.

وليد:

- أكيد عشان الحالات بتزيد بصورة كبيرة، وهو ده الصح يا بابا، حالياً لازم يتمنع الاختلاط، عشان الناس تفهم خطورة الوضع، خصوصاً إن فيه ناس لسه بتشكك في الموضوع.

واستكمل قائلاً:

- أنت عارف بقا شعبنا بيحب الفهلوة، يعني الكرة الأرضية كلها بتعاني من الفيروس ده وعندنا ناس في مصر بتقول مفيش حاجة اسمها كورونا.

أكدت ليلى على ما تحدث به أخوها قائلةً:

- فعلاً الفيروس بينتشر بسرعة رهيبة، بيطهروا في كل ركن في الكلية والجامعة من الصبح، وأنا سمعت إن فيه حالات كتيرة اتصابت في الجامعة، عشان كده علقوا الدراسة، والامتحانات هتبقا على منصات إلكترونية.

الأم:

- والله مانا فاهمة حاجة!

وتحركت قائلةً:

- أما أقوم أشوف ورايا إيه أحسن من وجع القلب ده، هو حد بيموت ناقص عمر يا ناس!

ليلى:

- وأنا كمان هدخل أنام، ومحدش يصحيني عشان مطبقة من امبارح وخلاص مبقتش قادرة!

ذهبت الأم وابنتها، ولم يبقَ في الشرفة إلا الابن ووالده، عاد وليد إلى الصمت والشرود والمارة، استعاد كابوسه وركضه الليلي، ولأنه يعلم أن والده يفقه كثيراً في تفسير الأحلام، فكر في قص الحلم عليه، لكنه كان متردداً، إلا أن إحساس الأب كان سباقاً وغالباً لشتات الولد وتيههُ، فسأل الأب ولده مباشرةً قائلاً:

- مالك يابني فيك إيه؟ إيه اللي شاغل عقلك النهارده؟

يعلم وليد أنّ أباه يملك ذكاءً وإحساساً لا يُخطئ، وكان الولد في حاجةٍ ماسة لمشاورة أبيه فيما رأى!

قطع وليد تردده وشتات أمره، وقص تفاصيل المكالمة والكابوس للأب الذي استمع وأنصت وتعجب!

****

٩) المعادي

"تتخذ من القمر موقعاً إن غاب يوماً..."

يسيطر الهدوء المصاحب للجمال هنا في محيط هذا الصرح المعماري الضخم بحي المعادي بالقاهرة، لكن الدور السادس تحديداً يملؤه صمتٌ موحشٌ، عكس الحراك الدائر في الأدوار السفلية والعلوية من هذا المبنى الشهير بالشارع الأشهر بالمنطقة الراقية من العاصمة القاهرة.

لم يكن الصمت الموحش بين جدران الدور السادس هو العلامة الغريبة الوحيدة، بل هناك علاماتٌ أخرى أكثر غرابةً في هذا الدور تحديداً، فنجد مثلاً أن المِصعد مغلق عند نفس الدور، وإن صعد أحدهم إلى الأدوار العليا عبر درج المبنى لن يستطيع المرور إلى الدور السادس، سيستكمل إلى السابع مباشرةً، وكأنّ الرقم ستة غير موجود هنا، سيرى أصفاداً حديدية شديدة الصلابة غالقة لهذا الدور كاملاً.. هذا هو الحال هنا في عمارة "النجار" التي يملكها المحامي الشهير جمال النجار!

أما الشقق الأربعة الموجودة بالدور المغلق فيسودها الهدوء والصمت نفسه، ربما لخلوها من الأرواح والأنفاس، إلا واحدةً فقط تحمل بداخلها همساً وأنيناً لا يسمعه أحدٌ من البشر، فمهما استغاث هذا الكائن البشري الوحيد في كامل الدور لن يسمعه أحد، وما كان الكائن البشري الوحيد سوى سيدة

لم تبلغ الأربعين من عمرها، تتخذ من القمر موقعاً إن غاب يوماً لشدة جمالها، لكن ماذا تفعل بهذا الجمال بلا بشر، بلا حديث وبلا حياة!

الكائن الوحيد المقيم هنا بلا بشر، امرأة تُدعى "نهى الجمال"، وهي سيدة جميلة تختفي معتقلةً داخل هذا السجن شديد الحراس، مُلبداً بالأصفاد منذ سنواتٍ ثلاثة، وهي طليقة المحامي المرموق "جمال النجار" مالك العقار!

كانت نهى قد تزوجت من جمال بعد قصة حُبٍ قوية، استمرت ستة سنوات بالتمام، وكأن رقم ستة هو رقم لعنتها الأبدية، بيد أنها أنجبت في السنوات الستة ولدين كانا لها دُرة سنواتها الضحلة!

كانت حياتهما سعيدة قبل أن تدّب بينهما خلافاتٍ تحولت إلى صراع أشبه بالصراع على البقاء، لم ينمو صراعهما ويكبر إلا عند حمل نهى بابنها الثاني، كانت أيامها صعبة عند الحمل الثاني، فكانت دائماً ما تغضب وتثور على زوجها وتتهمه اتهاماتٍ عديدة، حتى قيل إنّ سبب الطلاق الرئيسيّ في كونها دائماً تتهم زوجها بالخيانة، ومع الأيام ازداد معها هذا الشعور حتى أصبح مرضاً.. حسب ما صرّح المحامي الشهير للقريبين منهم!

لم يكن يراعي نهى في محبسها الإجباري أحدٌ إلا حارس العقار الذي يأخذ أوامره من طليقها مُباشرةً، فدائماً وعلى مدار الساعة يُحذر جمال حارس عقاره الأشبه بعماليق العصور القديمة من خطورة خروج طليقته من المنزل، دائماً ما يؤكد على مسامعه ذلك الأمر ويكرره في اليوم مئة مرة:

- إياك المدام تعتب عتبة الباب!

لم يكن يطلب جمال من حارسه الانتباه وعدم السماح لخروج طليقته من المنزل وإلا سينتهي أمره فقط، بل كان يطالبه دوماً بأن يكون هو الوحيد ودوناً عن باقي البشر صلة الوصل الوحيدة بينها وبين الدنيا، أي أن احتياجاتها المنزلية مُجابة ولو طلبت "لبن العصفور" كما يقولون، بشرط ألا تعبر طليقته هذه الأصفاد الحديدية:

- مش هنبه عليك تاني.. الست نهى تعبانة نفسياً وممنوع تتحرك خطوة واحدة بره البيت!

لم يكتفِ جمال بهذا الحد، بل أعلن لجميع معارفهم وأقاربهم أن حالتها المرضية صعبة وخطرة، وأنه من الخطورةِ بمكان أن يقترب منها إنسان، أشاع أيضاً أنه لا بديل من تركها وحيدة مع مراعاة احتياجاتها الطبية من خلال أمهر الأطباء على مدار الساعة!

أما نهى فكانت تتألم في الليل والنهار، وما كان يؤلمها شيءٌ أقسى من حرمانها من أبنائها، فهي لم تتألم بابتعاد والديها، فهم من بَعدوا وابتعدوا عنها خوفاً بعدما آمنوا بصدق أمر جنونها كما قال ونشر جمال النجار على الجميع!

كما أنها لم تعترف يوماً بأحكام الجنون الصادرة مِمن كان زوجها، رفضت كل اتهاماته، حاولت كثيراً الهروب أو الاستغاثة ولم تستطع، لم يترك لها منفذاً للهرب أو وسيلة للمرور، حتى هاتفها المحمول نزعه منها، إلا هاتفاً أرضياً تركه من دون قصد داخل غرفته المغلقة، ظناً منه أنه هاتفٌ لا يعمل!

هي الأخرى لم تتذكر هذا الهاتف الأرضي طيلة الشهور الماضية، لم تتذكره إلا حينما رأت ذات يومٍ إعلان رقم الطوارئ المجاني التابع لوزارة الصحة والمُعلن عنه على شاشة الفضائيات ليل نهار!

حاولت لأكثر من يومين أن تكسر باب غرفة جمال المغلق للحصول على الهاتف ولم تنجح، حاولت، وحاولت وفشلت، كانت حاجتها للحياة أشد قوةً من آلامها كأنثى ضعيفة ومستسلمة، ومع محاولاتها المستميتة نجحت وحصلت على الهاتف ورسمت خطتها للنجاة!

لم تكن نهى تسعى إلا للانتقام من طليقها بأي طريقةٍ ممكنة، لم يكن يشغلها في هذا التوقيت أن أحدهم سيكون فريسةً للضياع جراء أمرٍ لا ذنب له به!

وبالفعل، بدأت نهى مجاهد أو سيدة المعادي كما أُطلق عليها لاحقاً في تنفيذ خطتها في مساء ليلة العشرين من يونيو، حين هاتفت رقم طوارئ وزارة الصحة ١٠٥، فيما واصلت تنفيذ ما خططت له بذكاءٍ وعبقرية في صباح اليوم التالي قبل أن يصل وليد إلى عمله!

****

١٠) تفسير

"أضغاث.. لا تستحق عناء التفكير أو الندم!"

تفسير الوالد لرؤية الابن أنها لم تكن إلا أضغاث أحلام، حتى بعدما قص وليد تفاصيل الاتصال والاستغاثة، لم تؤثر تفاصيله على تفسيره، بل توجس الأب قلقاً عن ابنه ولم يُظهِر، فقط قال:

- انشغال عقلك الباطن بالمكالمة الغامضة هي من أيقظت بداخلك وازعاً من العطف على هذه السيدة المجهولة، فتجسد كل ذلك في رؤياك أو كما تسميه كابوساً!

اطمأن وليد واستكان بعدما استمع لتفسير والده عما مر به من أحداث واقعية وباطنية منذ ليلة الأمس، فقرر ألا ينشغل بالأمر أكثر من ذلك، آمن بأن الأمر بمجمله كما قال والده لا يستحق عناء التفكير أو الندم!

في نفس التوقيت، هاتف حمزة وليد، فأجابه الأخير:

- أهلاً حمزة بيه.

حمزة:

- أهلاً بالغالي، واحشني يا صاحبي.

وأضاف بحماس:

- أما أنت فاتتك ليلة امبارح! أقولك إيه.. كانت عنب!

وليد بسخرية:

- الحمد لله ماليش في العنب الشمال بتاعك ده.

وأردف:

- خليك أنت كده لحد ما أبوك يجرك من قفاك أنت وبتوع العنب!

حمزة بضيق:

- هو أنت لازم تفكرني وتعكنن عليا.. تصدق أنا غلطان إن اتصلت بعيل زيك

وليد بسخرية:

- طب معلش يا غالي.. متزعلش يا محترم.. يا مؤدب!

حمزة:

- أيوه كده اتعدل.

وأردف:

- طب يلا يا سيدي أجهز عشان الشيفت قرب.

وليد:

- تمام، هكلمك قبل ما أنزل.

****

١١) ارتباك

"شيءٌ ما على غير المعتاد.."

في المساء؛ ذهب الصديقان إلى العمل في موعدهما مثل كل يوم، إلا أن اليوم كان مختلفاً عن كل يوم، فما وجدا من ارتباكٍ وحِراكٍ غريبٍ بمجرد الدخول إلى مقر العمل جعلهما يشعران بالتوتر، كان الوضع يوحي بأنّ هناك شيئاً ما على غير المعتاد يحدث، فنظرات وهمهمات زملائهما بالعمل دالة بما لا يدع مجالاً للشك بأنّ هناك في الأمر أمراً، المهم أنهما لم ينشغلا بما يحدث كثيراً، بيد أنهما قبل أن يتسلما هواتف العمل، جاءهما الساعي طالباً من وليد الدخول لمدير الإدارة على وجه السرعة!

نظر وليد إلى حمزة بتعجب، أشار له الثاني بالذهاب بدون تردد، ذهب وليد وكان في انتظاره مديره يشتاط غيظاً، فبادره وليد:

- مساء الخير يا ريس، عم محمود الساعي بيقول حضرتك عاوزني.. خير يا فندم؟

المدير بضيق وسخرية:

- أهلاً يا سي وليد.. الحَبوب الكبير!

اندهش وليد من نبرة مديره الساخرة، فقال باندهاش:

- نعم.. مش فاهم يا فندم!

بعصبية قال مديره:

- إزاي يا أستاذ مكان زي اللي بنشتغل فيه عشان نلحق الناس قبل ما تموت، نستقبل فيه مكالمات عاطفية من حبايبنا!

وليد مندهشاً:

- مكالمات عاطفية إيه حضرتك؟

وأردف:

- مش فاهم حضرتك بتتكلم عن إيه يا ريس!

المدير:

- مش فاهم بتكلم عن إيه! طب أعمل حسابك يا بيه إنك متحول للتحقيق وهناك هتفهم كل حاجة!

وليد بتعجب:

- تحقيق!

وأردف:

- والله بجد مش عارف حضرتك تقصد إيه!

المدير:

- كل خمس دقايق من الصبح الست هانم بتاعتك تتصل على الخط الساخن تقول: عاوزه أكلم أستاذ وليد الصباغ، وكل ما حد من زمايلك يرد عليها تزعق وتهيص وتقول: عاوزه سعادتك!

وسأل:

- فهمنا بقا إيه الحكاية؟

تلجلج وليد قليلاً، ثم أجاب بهدوء:

- واحدة! واحدة مين!

وأردف:

- طب براحة كده يا ريس وفهمني إيه بس اللي حصل بالظبط!

بعد لحظات من الاتهام والإنكار بين وليد ومديره، تذكر أحداث الأمس، فكر بأنها ربما هي مستغيثة الأمس، فطلب من مديره رؤية رقم هاتف المتصلة، فسمح له، فوجد نفس رقم سيدة المعادي!

لم يجد وليد حلاً للخروج من المأزق إلا قول حقيقة ما حدث بالأمس، فروى بالنص ما حدث، وأكد حديثه بمراجعة مكالمات الليلة الماضية، تفهم مديره أصل القصة، لم يستكمل إجراءات تحويله للتحقيق، فهو يعرف وليد جيداً ويثق في أخلاقه، طالبه بالعودة إلى مكتبه وممارسة مهامه والالتزام بمعايير العمل كما فعل بالأمس!

عاد وليد لمكتبه، وجد حمز ينتظره بشغف، دار بينهما حديثٌ خافتٌ حول ما دار بمكتب المدير ليفاجئه حمزة:

- البت دي شكلها شمال، لو كلمتك تاني سيبهالي واخلع أنت بقا!

وليد بعصبية:

- والله ما فيه شمال غيرك ياخي!

١٢) عودة

"ربما فارغة العقل والوقت أو كما قال صاحبه.."

مضى الصديقان في مهام عملهما، واصل عقل وليد يراوده بالفِكر والانشغال، جاب به يميناً ويساراً حول ما يحدث منذ ليلة الأمس، كان يتمنى في أحلام يقظته أن تهاتفه مستغيثة المعادي مرة أخرى كي يفهم ماذا يحدث!

واصل العمل على الوتيرة اليومية نفسها، وكان اليوم أكثر ضغطاً من الأمس، فالحالات المُصابة في ازدياد في هذا الوقت تحديداً، وهو ذروة الإصابة بالفيروس، فانشغل بالعمل والاتصالات التي لم تتوقف!

انتهى اليوم سريعاً دون أن يشعر ولم تهاتفه المرأة، وهكذا الحال في اليوم التالي فلم يكن هناك جديدٌ يُذكر!

بدأ وليد رويداً رويداً يُغلق التفكير في الأمر، مال إلى فكرة أنها سيدة فارغة العقل والوقت، وأنها كما قال عنها صاحبه وأخته ما هي إلا امرأة تتسلى، حتى جاءه اتصالها في اليوم الرابع!

وليد كالعادة:

- مساء الخير.. وليد الصباغ.. طوارئ وزارة الصحة معاك يا فندم.

المتصلة تمارس صمتها المعتاد ولا تجيب، تأكد أنها هي من الرقم الظاهر أمامه، تماسك قليلاً وحاول القيام بمهام عمله، وأردف بلهفة:

- طوارئ وزارة الصحة معاك يا فندم.

فاجأته المتصلة قائلةً:

- ليه ماحاولتش تكلمني؟

وليد:

- حضرتك مين؟ وعايزة مني إيه بالظبط؟

المتصلة:

- نهى.. اسمي نهى!

وليد:

- أهلاً وسهلاً بحضرتك أستاذة نهى.. طب أنا ممكن أساعدك في إيه؟

نهى:

- قولتلك محتجالك، ولآخر مرة بقولك إن ماوقفتش جنبي هتندم باقي حياتك، عشان هتكون السبب في إني أموت نفسي.

اندهش وليد وسأل:

- ليه حضرتك بتقولي كده؟

وأردف بسؤال آخر:

- لو سمحتي فهميني إيه الموضوع؟

لم تجِبه وأغلقت الهاتف، تركته في حيرة وتعجب أكثر مما كان عليه في المكالمة الأولى!

****

١٣) قرار

"راوده أرقٌ وقلق عن نفسه.."

أُصيب وليد بالحيرة، لم يكن يعلم ماذا يفعل بعد الاتصال الثاني، لكنه في النهاية اتخذ قراره، فعل ما كان يود أن يفعله من البداية، حفظ خِلسةً رقم هاتفها على هاتفه الخاص، قرر أن يهاتفها بعد نهاية عمله، وحين عاد إلى منزله دلف إلى غرفته مباشرةً، ظل ينظر إلى الرقم كثيراً في تردد وقلق، حاول استجماع قواه، ضغط كثيراً على زر الاتصال وضغط أكثر على زر الإنهاء، لم يمتلك الجرأة لإجراء الاتصال، تملكته مشاعرٌ متضاربةٌ لم يشعر بها من قبل، إلا أنّ سؤالاً واحداً ظل يراوده في ليلته الحائرة، لم يكن السؤال إلا:

- «لماذا أنا؟»!

ولما تأرجحت أفكاره وتبعثرت، انتهى إلى ترك الأمر إلى الصباح، أغلق هاتفه وأظلم غرفته، اتخذ قراراً آخر بالخلود إلى النوم، تقلب على جانبيه يميناً ويساراً، راوده أرقٌ وقلقٌ عن نفسه، لا زال عقله يتلاعب به من أجل القيام بالمهمة الثقيلة، وكأنّ شيطاناً أحمقَ يعيد في أذنيه هاتين الكلمتين:

- قُم وهاتفها.. قُم وهاتفها!

استمرّ في أرقه كثيراً قبل أن يذهب به إلى سُباتٍ عميقٍ، لم يتركه عقله الباطن يستريح في سباته العميق، سار به إلى مسيرةٍ أخرى من الركض في نفس غابة ليلة الأمس المخيفة، رأى نفسه لا يزال يركض بكل ما أوتي من قوة، إلا أن هذه المرة قد توقف لحظة بعد أن شعر بأن سيدة الأمس توقفت فجأة، فتوقف وعاد رويداً إلى الخلف، وقبل أن يصل إليها وجد ثعباناً ضخم الحجم والهيئة ينقض على من كانت تركض للحاق به، رآها تمد يديها إليه مستنجدةً كـغريق يأمل في النجاة والبقاء، أو كأنّها كانت على وشك مغادرة الحياة، فأيّ حياة ومِمن تركض وتهرب.. هكذا سأل وليد نفسه!

لم ينتظر وليد كثيراً، اقترب منها بسرعة وبدون تردد، عاد لها كالمجنون، أمسك بغُصنٍ من أحد أشجار الغابة وجده أمامه مباشرة، التقطه وبكل قوةٍ وعزم نزل على رأس الثعبان فقضى عليه، لينتفض بعدها رُعباً حين التفت للراكضة ولم يجد لها أثراً، حيث اختفت المرأة من المشهد وكأنها لم تكن موجودة!

استيقظ وليد محموماً كالعادة يرتعش، وضع يديه فوق جبين رأسه، وجدها غرقى بالماء، شعر بأنه كان بالفعل يُصارع الثعبان في الحقيقة وليس بالمنام، جلس على حافة فراشه، أعاد المشهد ككل، سمع مؤذن الفجر ينادي «الله أكبر»، استعاذ بالله من الشيطان، قام فتوضأ، وجد والده جالساً على كرسيه يستغفر الله ما بين الأذان والإقامة، قَبّل يديه، واستعدّ للصلاة، أمَه أبوه في

الصلاة، بكى الابن خلف والده بكاءً شديداً، كان واضحاً أنه لا يزال مُرتعداً وخائفاً!

أنهى الأب الصلاة والتفت لولده، جذبه في أحضانه، تمتم على رأسه وجسده بآياتٍ من القرآن الكريم، شعر الابن بالراحة والسكينة، لم يسأل الأب ابنه عن شيء، تركه يواجه مصيره وحده، عاد الابن إلى غرفته، لم يستكمل نومه، فتح هاتفه وأجرى الاتصال المنتظر، وتبدل الحال هذه المرة، فكان وليد هو البادئ بالصمت، فبادرت نهى قائلةً:

- أتأخرت عليا ليه؟

وليد باندهاش:

- نعم!

نهى:

- مستنياك من زمان!

وليد:

- ممكن أعرف إيه الموضوع عشان بجد أنا تعبت!

فاجأته نهى:

- أنا عنواني المعادي - شارع نصر الدين عمارة النجار، الدور السادس شقة 24، في انتظارك والأحسن تيجي دلوقتي حالاً، ومتتكلمش مع حد نهائي لو قابلت أي شخص وأنت طالع ولا تقول للبواب أنت طالع لمين!

وليد بتوتر:

- يا أستاذة نهى من فضلك فهميني.. أنا مش فاهم حاجة!

قاطعته بثقة:

- هتطلع بالأسانسير وتطلع الدور الخامس، وتطلع الدور السادس بالسلم!

وليد بتعجب:

- أنا مش...

قاطعته بحماس:

- لما تيجي هتعرف كل حاجة وصدقني متخافش، أوعى متجيش، وافتكر إن لو مجتش حياتي هتنتهي النهارده، وهتندم عمرك كله!

وأردفت:

- حياتي واقفة عليك!

وأضافت:

- آه نسيت أقولك، هات معاك أي حاجة ينفع تكسر بيها قفل حديد ضروري!

لم تعطِه الفرصة لفهم أي شيء، فاجأته بحديثها الواثق من قدومه، ازداد حيرةً فوق حيرته، صمت قليلاً وفكر كثيراً، في النهاية وقبل شروق شمس يومٍ جديدٍ، انجذب نحو المستغيثة، واتخذ وليد طريقاً إلى عمارة النجار بالمعادي!

١٤) العملاق

" كمسحورٍ من عالمٍ إلى عالم"

أعلنت خيوط أشعة الشمس إشراق صباحٍ جديدٍ، فبدَت أنوار الصباح تطفو مُتجليةً على ظهر الحياة إيذاناً بميلاد يومٍ جديدٍ، تحرك وليد بجسده من منزله دون حراكٍ من عقله، رحل متجهاً إليها باستسلامٍ وخنوعٍ!

شيءٌ ما جذبه للمضي قدماً نحو المعادي دون تمهُلٍ منه أو مراجعةٍ أو تدبيرٍ، خرج من بيته كمسحورٍ من عالمٍ واضحٍ إلى عالمٍ ليس له ملامح، مضى في صباحه الباكر إلى مصيرٍ لا يعلم إلى أين سيصل به!

وصل إلى العنوان المُراد، وجد برجاً شاهقاً يحمل على بابه لافتة مهولة كُتب عليها برج النجار، علم أنه أمام المبنى المقصود، راقب المدخل بحذر تنفيذاً لتحذيرات من قادته إليه، لم يرَ للعقار حارساً، وجد الباب الرئيسيّ مفتوحاً على مصراعيه، دلف بهدوءٍ على حافة قدميه، المدخل كان خاوياً من البشر، إلا من قِطة صغيرة تكتنف على صدرها هموماً بهدوءٍ وصمتٍ، راقبته القطة بقلقٍ وريبة، واصل سيره بالمدخل الكبير دون الاهتمام بمن تتفحصه من أقصاه إلى أقصاه، وقف أمام المصعد الكهربائي، حاول استجماع ذاكرته بعد أن راحت من ذاكرته تماماً رقم شقتها، تذكر فقط ما قالته أنها تعيش في الدور السادس، وضع قدميه داخل المصعد، اختار الدور الخامس كما نبهت

المستغيثةُ عليه، بيد أنّ أحداً من خلفه أمسك بباب المصعد فجأة، وسأله بصوتٍ مرتفعٍ:

- أيوه يا فندي.. رايح على فين؟

عاد وليد إلى الوراء قليلاً، فرأى أمامه صورةً لعملاقٍ بوجهٍ بشريٍّ وبجسدٍ أقرب لحيواني، تمالك نفسه سريعاً، علم أنّه بالتأكيد حارس العقار العملاق الذي حذرته نهى من لقائه، لكن اللقاء قد تم، ولا بديل من المواجهة، سريعاً أدرك أن الجسد الذي أمامه من المستحيل أن يتركه سالماً إن شك في أمره، إذاً فالمواجهة بالعقل هي الحل.. هكذا حدثته نفسه!

كان وليد يرتدي بدلةً سوداء تعلوها نظارةٌ شمسية سوداء ضفت على هيئته شخصيةً مرموقةً، بالإضافة إلى طوله المميز الذي أكد هذه الهيبة وهذه الهيئة!

بدأ وليد بالهجوم على الحارس حين رمقه بنظرةٍ خاطفةٍ من أسفل عدسات نظارته، نظرته للعملاق كانت أقرب إلى الاستعلاء والاستخفاف، عبرت نظراته سريعاً على عدم مبالاته بالمتحدث الذي أمامه، وقال بحزمٍ وثقة:

- طالع شقة الأستاذة نهى عندي ميعاد معاها!

كان يتأهب لانقضاضٍ وهجومٍ جسديّ من العملاق، إلا أنّ الأمر صار في اتجاهٍ آخر تماماً، حين سأله العملاق بحماس:

- هو سيادتك الدكتور اللي بعته جمال بيه؟

تفاجأ وليد بردة فعل الحارس الضخم، فهو لا يعلم من هو جمال بيه هذا، ولماذا يرسله إلى نهى، إلا أنه وجدها فرصة عظيمة من السماء للنجاة، فأجاب العملاق بثقةٍ:

- أيوه أنا الدكتور يا سيدي، عايز حاجة تانية؟

وأردف:

- قولي بقا هي الأستاذة نهى في الدور الكام، وشقتها رقم كام لو سمحت!

العملاق برضوخ:

- اتفضل يا دكتور، أنا هطلع مع حضرتك فوق!

دلف الحارس مع وليد إلى المصعد، وجد الضيف اختار الدور الخامس، فتعجب قليلاً، فبادره وليد قائلاً:

- أنا أعرف إن الأستاذة نهى في الدور السادس مش الخامس!

لم يجبه العملاق، أمسك بحافة شاربه الثقيل فقط، وكأنه يسخر من سؤاله، وبدأ حديثاً آخر أجاب على التعجب السابق:

- والله يا دكتور مدام نهى مفيش زيها في الدنيا، وصعبانة على الكل، حالها واللي وصلتله!

وأردف:

- خلي بالك يادكتور دي كانت ست العاقلين بس الدنيا كده، مبتسبش حد في حاله.

لم يحاول وليد قطع حديثه، تركه يواصل السيل العارم من الكلمات التي حملت معها جزءاً من التفسيرات الغامضة، حتى وصل الاثنان إلى الدور الخامس، ترك وليد نفسه للحارس، خرجا من المصعد وصعدا درجاً للدور السادس، ليجد أبواب الدور السادس مغلقة بالأقفال الحديدية، تعجب وليد مما رآه، ظل صامتاً يُخفي دهشته حتى لا يثير شكوك العملاق، تذكر ما أخبرته نهى عن ضرورة إيتائه لشيء يكسر به قفلاً حديدياً، أيقن أخيراً أنّ الأمر الذي على مشارفه جد خطير!

في هذه اللحظات تمنى وليد أن يتراجع عما يخطو إليه، كان يظن أن الأمر أبسط وأيسر من ذلك، لكنه وجده أكثر صعوبةً وتعقيداً!

فتح الحارس العملاق الأقفال ودخلا سوياً إلى الممر الصامت ليتهادى العملاق قليلاً ويقترب من مسامع زائر الصباح ويقول:

- خلي بالك يا دكتور، لو حصل منها حاجة كده ولا كده رنلي هطلعلك هوا!

وأخرج العملاق هاتفه:

- طلع رقمي من التلفون يا دكتور وسجله عندك عشان مش حافظه!

أمسك وليد هاتف الحارس العملاق، واتصل برقمه كي يحفظ رقم هذا الإنسان العملاق ذي الشارب الثقيل.

أثناء ذلك فاجأه العملاق بسؤالٍ تأخر كثيراً:

- هو أنت جاي بدري ليه كده يا دكتور، ده النهار لسه مشقشق!

كان ينتظر وليد هذا السؤال بمجرد لقائهما قبل الصعود، لذا كان مستعداً للإجابة فقال:

- هو جمال بيه مش قايلك إن جاي النهاردة!

وأردف:

- تفرق في إيه بقا شقشق ولا مشقشقش، وبعدين ده أحلى وقت للعلاج.. يلا بقا عشان نخلص.

حارس العقار:

- أوامرك يا دكتور.. اتفضل آدي الشقة!

****

١٥) اللقاء

"واشتعل من دِفئها جسدٌ كان خاوياً"

على باب شقة رقم ٢٤، وقف الحارس العملاق والطبيب المزيف (وليد سابقاً) وقبل أن يضع الحارس يده على جرس الشقة، سأله وليد مصطنعاً ثقةً مفقودة:

- بقولك يا عم.. أنت اسمك إيه صحيح الأول؟

أجاب الحارس: خدامك سعفان يا دَكتور.

وليد:

- عاشت الأسامي يا عم سعفان، أنت كان قصدك إيه وأنت بتقول لو حصل حاجة كده أو كده أرن عليك، هي الست نهى حالتها صعبة للدرجة دي؟!

الحارس:

- اللّٰهُمَّ احفظنا لما الحالة بتشتغل يا دَكتور، ده جوزها جمال بيه شاف معاها العجب!

وأردف: ولا ولادها يا بيه! مهما أقولك مش هتصدق! دي كانت العيال أوقات بيجروا منها على الشارع من كتر الخوف، بس ما تخفش يا دَكتور مش هسيبك لوحدك، هفضل معاك.

ارتعد وليد مما أخبره العملاق سعفان، تأكد بأنه على مشارف الدخول بقدمه إلى مستشفى الأمراض العقلية، جلد نفسه ندماً واتهمها بالغباء، كان لابد له من البداية أن يعلم أن هذه السيدة مختلة عقلياً، فكر أن يفلت من العملاق ويهرب، لكن وقت الاختيار قد مضى، فالعملاق قد ضغط بالفعل على جرس الباب!

فتحت نهى الباب سريعاً بمجرد أن دق الحارس جرس الباب، وكأنها كانت تقف من خلفه في انتظار هذا الجرس، تغيرت ملامحها واحمر وجهها حين رأت ما تنتظره، إلا أنها زجرت وتعصبت حين وجدت بجواره العملاق!

صُدِّم وليد حين رأى أمامه ملكةً في الجمال، لم يظن أنها بكل هذا الجمال وكل هذه الأنوثة، خلع نظارته الشمسية ليراها أكثر وضوحاً فانبهر أكثر من عينيها الملائكيتين وجسدها الممشوق وطلتها الساحرة. وقبل أن يتحدث أحدهما إلى الآخر ابتعد الحارس من أمامها قليلاً، وبادرها:

- صباح الخير يا مدام نهى، ده حضرتك الدكتور اللي باعته جمال بيه!

تغيرت قسمات وجه نهى على عكس ما كانت عليه من لحظات، وأجابته بعصبية:

- دكتور إيه وزفت إيه، قول لجمال بيه بتاعك أنا مش عاوزه دكاترة، يجبهم لنفسه.

وكادت أن تغلق الباب في وجه العملاق والطبيب المزيف، إلا أن الأخير وضع يده على الباب قائلاً:

- وليد.. أنا وليد.. الدكتور.. وزارة الصحة

عادت الدماء تجري في جسد نهى، تفتحت قسمات وجهها مرة أخرى، وفهمت أنه هو المنتظر، وبذكاء شديد تمادت في شدتها الأولى وقالت:

- أنا مش عاوزه دكاترة، كلكم زي بعض!

تنهدت قليلاً، ثم فتحت الباب على مصراعيه قائلة:

- اتفضل، يمكن أنت تكون غير زمايلك!

دخل وليد إلى شقة نهى، ومن خلفه كاد أن يدخل العملاق، بيد أن صاحبة المنزل أوقفته:

- رايح فين يا سعفان.. اتفضل روح شوف شغلك.

اندهش العملاق قليلاً من تغير ملامح وجه نهى المُفاجئ، فكيف ترفض المقابلة، وكيف تقبلها بهذه السرعة بمجرد فقط أن عرّفها الطبيب بنفسه، ولكنه عاد سريعاً إلى الخلف قائلاً إلى نفسه بصوتٍ سمعه وليد:

- اللّٰهُمَّ احفظنا!

نظر العملاق للطبيب مودعاً إياه قائلاً:

- تمام يا دَكتور أنا تحت.. لما تخلص رنلي أطلع أفتحلك.

وأشار بصمت بيديه إلى هاتفه ومجموعة مفاتيح عملاقه مثل عملقته النصف بشرية والنصف حيوانية.

****

١٦) هلع

"واقعٌ لا مجال للفرار"

انجذاب وليد إلى نهى واستناده بيديه أمام بابها كي لا تغلقه لم يكن مصادفة، بل كان بسبب جمالها الملائكي، فهي بالفعل واحدة من أجمل نساء الأرض بدون مبالغة، فجمالها هو ذلك الجمال العربي اللامع بالسحر والمُمتع للناظرين!

دخل وليد خلفها بحذر مستعيناً بالله، كان قلقاً ومتوجساً خطراً ورعباً، فحديث حارس العقار بأنها تعاني الجنون أصابه بالهلع، ولكن الأمر أصبح واقعاً ولم يعد هناك مجالٌ للفرار منه.

بادرته نهى بالترحيب:

- اتفضل يا دكتور وليد، ولا أقولك يا أستاذ وليد.

وليد مبتسماً بحذر:

- وليد بس يا مدام نهى.. أنتِ عارفة إني مش دكتور.

نهى بانفعال:

- أنا مش مدام لحد، هو الزفت ده قالك إيه، أنا عارفة أكيد قالك دي مجنونة وجوزها طلقها ورماها وخد منها عيالها عشان مجنونة صح؟ قالك كده صح؟

واقتربت منه بعصبية، وأعادت:

- صح هو قالك كده صح؟

وليد مبتعداً خطوة للوراء:

- طيب اهدي بس يا ست الكل، محدش قال عليكِ حاجة خالص.

نهى بهدوء سريع:

- أنا آسفة يا وليد، معلش أصل أنا شوفت من الناس دي كتير!

ثم عادت بصوتٍ عالٍ وعصبية:

- هو اللي مجنون وستين مجنون كمان!

وأردفت:

- اتفضل استريح واقف ليه.

سريعاً أيقن وليد أنها سيدة غير طبيعية، فمشاعرها تتبدل سريعاً بين الفينة والأخرى، لا تتحكم في ردود أفعالها، إلا أنه التزم الهدوء لاستبيان الحقيقة.

كاد يجلس على إحدى كراسي الصالون الكبير الذي يستحوذ على جزء كبير من تلك الصالة الكبيرة المُزينة بالأثاث الراقي، إلا أنها فاجأته مرة أخرى حين قالت:

- استنى متقعدش هنا!

ثم أمسكت يده برفق فاقشعر من دِفئها جسدٌ كان خاوياً، جذبته خلفها بحنين إلى الجهة الأخرى قائلةً:

- تعالى نقعد هنا في الناحية دي!

ازداد قلقه وحدثته نفسه قائلةً:

- دي فعلاً مجنونة، يا وقعتك السودة يا وليد!

صار معها مُطيعاً أليفاً إلى الجانب الآخر، جلس بصمت لا يعرف ماذا يقول، شعرت بخجله فبادرته:

- أنا قهوتي مظبوطة.. تحب أنت تشربها إيه؟

هو:

- شكراً ولا أي حاجه خالص، أنا بس لو تسمحيلي عاوز أفهم حضرتك عاوزه مني إيه؟ وليه أنا اللي اخترتيني؟

هي:

- مالك مستعجل ليه كده، هقولك كل حاجة، بس لازم تشرب حاجة معايا الأول.

وليد بخجل:

- مفيش مشكلة هشرب زي حضرتك قهوة مظبوطة.

نهى بحماس:

- أوك، هشربك قهوة مدُقتش طعمها قبل كده.

وأردفت:

- فك نفسك كده، أنت مالك مش على بعضك حساك مكسوف.. ولا أوعى تكون صدقت الخَرفان سمعان وإني مجنونة، أوعى تكون خايف مني!

وليد بقلق:

- لأ خالص ده أنتِ ست العاقلين يا هانم!

تركته وذهبت لعمل القهوة، وجدها فرصة سانحة للهرب، قام بالفعل بهدوء حذر، التفت حوله وكاد يخرج من شقتها، إلا أنه توقف فجأة حين وجد ظرفاً كبيراً كُتب عليه عنوان عريض "الذي قتلني"!

****

١٧) الظرف

"الواقع أصعب وأمر"

أثار عنوان الظرف فضول من كان على وشك الهروب، تلفت وليد حوله مرة أخرى قبل أن يفتحه، تحدثت نهى بصوتٍ مسموع من المطبخ إلى وليد أثناء إعدادها للقهوة:

- وأنت بقا إيه اللي خلاك تقول للبواب إنك دكتور!

تجاوب وليد مع سؤالها أثناء فتحه للظرف الذي احتوى على ثلاث ورقات وفلاشة، قرأ سريعاً مقدمة الورقة الأولى وهو يقول بصوتٍ موجه لمن تعد القهوة:

- أنا اتفاجأت بيقولي رايح فين، قولتله طالع للأستاذة نهى، قالي يبقا أنت الدكتور اللي باعته جمال بيه جوز حضرتك، لقيتني بقوله أيوه أنا من غير ما أعرف مين جمال بيه وليه باعتلك دكتور!

فاجأته بعصبية وبصوتٍ مرتفع:

- متقولش جوزي، ده طليقي.

وصمتت قليلاً وأردفت:

- ده أكبر غلطة في حياتي.

واصل وليد قراءة الأوراق، ولا يزال يمر سريعاً على كلمات الورقة الأولى التي كتبت فيها:

" أنا نهى مجاهد، ابنة الحسب والنسب كما كانوا يقولون عني، أنا المطلقة والسجينة، وأنا من قُتلت بلا ذنب، أما قاتلي فهو من كان زوجي، وأما السجن فهو بيتي في حي المعادي، وأما الحسب والنسب فهم أهلي الذين تركوني فريسةً، حبيسةً داخل معتقل هذا المخادع الخائن، لأنتظر ضربته القاضية. وها هي جاءت اللحظة المنتظرة، فمن يقرأ رسالتي هذه الآن أن يعلم أني غادرت حياتكم غدراً وظلماً! "

وقبل أن يستكمل باقي الورقة الأولى، عادت نهى حاملةً فنجانيّ القهوة، لتتفاجأ به يقرأ في الأوراق، لم تنفعل كما توقع، سقطت منه الأوراق، قبل أن تقول:

- استعجلت ليه؟

وليد بخجل وتوتر:

- آسف، أنا لقيت الظرف ده قدامي، عنوانه أثار فضولي ففتحته، بتأسف مرة تانية.

نهى بهدوء:

- بتتأسف ليه، هو أصلاً بتاعك، مكتوب ليك أنت!

وليد بتعجب:

- ليا أنا؟

وضعت نهى القهوة على المنضدة وجلست وعاد هو الآخر لجلسته الأولى، وأردفت:

- أيوه ليك أنت، طبعاً أنا عارفة أنت بتفكر في إيه، وعاوز تعرف إيه الحكاية.

صمتت قليلاً وتنهدت، واستكملت:

- هريحك وهقولك على كل الحكاية!

وأضافت بحزن:

- الحكاية بدأت من أول ما اتقدملي جمال، كان لسه محامي زي ما بيقولوا كده على قده، عمل المستحيل عشان يتجوزني.

شردت بعيداً ثم واصلت:

- لحد دلوقتي معرفش إزاي بابا وافق على جوازنا، وإزاي هو أقنعنه وأقنعني، حاجة كده زي ما تقول كان عامل لينا سِحر، المهم اتخطبنا سنة واتجوزنا في شقة بابا، بابا الله يرحمه كان عايش لوحده بعدما ماما توفت الله يرحمها.

بكت فقاطعها وليد:

- الله يرحمهم يا رب، اهدي بس وكملي وأنا سامعك واطمني خالص.

استكملت نهى:

- اتجوزنا بعد فترة خطوبة عادية جداً، بصراحة مشوفتش منه حاجة وحشة طول فترة الخطوبة، كان عاوز يسعدني وبس، وبابا حبّهُ جداً واعتبره زي ابنه بالظبط، وبعدين اتجوزنا وأول سنة كنا زي الفل، وأنا مش هَنكر

إن اتعلقت بيه وحبيته، لحد ما ربنا رزقنا بابني الكبير آسر، وبدأت أشوف في جمال حاجات غريبة.

قاطعها وليد:

- حاجات غريبة زي إيه؟

نهى:

- أول حاجة لما جالنا مرة فرحان ومبسوط، وقال إنه ورث مبلغ كبير أوي، وإنه هيبني برج كبير في المعادي، وقتها كنت أنا وبابا فرحانين ومستغربين في نفس الوقت عشان عمره ما حكالنا عن ورث ممكن يورثه، كل اللي كنا نعرفه عنه أنه مقطوع من شجرة، عمرنا ما شوفناله قرايب، ولما سألته قال إنه من الشرقية، وإن هو كان وحيد بباه ومامته اللي توفوا وهو صغير، وإنه عاش مع عمه اللي عنده أطيان كتير ومش بيخلف، وإن كان عمه ده اللي بيصرف عليه حتى لما انتقل للقاهرة في الجامعة، وكمان هو اللي فتح له مكتب صغير يبدأ فيه شغله في المحاماة، وإنه توفي وطلعله أراضي وأطيان وورث كان لبباه عند عمه، وكلام غريب كده مدخلش في عقلي!

وابتسمت بسخرية:

- حاجة كده زي الأفلام الأبيض والأسود، المهم إن مصدقتش وما اقتنعتش بالكلام ده، واتزرع الشك جوايا ناحيته، وكبر الشك أكبر مع الأيام، خصوصاً بعد ما بابا اتوفى!

وأردفت باكية:

- كان بابا الوحيد اللي بيقدر يهدّيني، ولما مات بقيت لوحدي، ومن هنا بدأت أسمع وأشوف كل حاجة، واتأكدت إن كل شكوكي كانت في محلها.

صمتت وشردت مرة أخرى، فأعادها وليد قائلاً:

- وبعدين كملي

فاستكملت:

- نقلنا هنا بعد ما جهز البرج ده، ومشيت الدنيا شوية بشكل روتيني وبدأت أضغط على نفسي وأمشي في حياتي بشكل طبيعي، لحد ما ربنا رزقنا بمولودنا الثاني عمر، كنت راجعة من المستشفى حالتي النفسية سيئة، مش عارفة ليه، وبقيت ألاحظ جمال مبيتكلمش معايا خالص إلا نادراً، وطول ما كان في البيت قاعد في مكتبه جوه، لحد ما جيت مرة بدأت أتكلم معاه في إني مبقتش طايقة الحياة دي، وإن كل واحد بعيد عن التاني، ملقيتش منه تفسير أكتر من أنه مشغول والشغل والقضايا والذي منه!

وأردفت:

- بدأت أسمعه بيتكلم في التليفون بصوت واطي، كأنه خايف حد يسمعه، رجعت شكوكي الأولى فيه ترجعلي، حاولت كتير أسمع بيتكلم ليه كده وهو قلقان إن حد يسمعه لكن معرفتش، كان بيكون جوه المكتب وقافل على نفسه، عملت المستحيل عشان أسمعه ومعرفتش، كل محاولاتي التصنتية باءت بالفشل، لحد ما استغليت خبرتي في مجال التكنولوجيا!

وقالت بثقة:

- على فكرة أنا أول دفعتي في هندسة تكنولوجيا.

وواصلت:

- المهم إني قدرت أشتغل على برنامج كده ونزلته على تليفونه من غير ما يعرف عشان أشوف بيتكلم مع مين وإيه اللي بيحصل.

وليد بتعجب:

- هكر!

نهى:

- أيوه برنامج هكر، كنت هعمل إيه، أنا كنت بموت كل ثانية، الحقيقة إن كانت شكوكي كلها في إنه يا بيخوني أو متجوز عليّا، بس الواقع كان أصعب وأمر، زي ما بيقولوا وما خفي كان أعظم!

****

١٨) فزع

"وما خفي كان أعظم"

لم يقاطع وليد نهى، تركها تستكمل ما بدأته، ترك نفسه وأحكامه للقصة كاملةً حتى تُنهي كل ما في صدرها من كلمات، واستكملت قائلةً:

- المهم إني نَزلت البرنامج على تليفونه من غير ما يعرف، وربطه بتليفوني، وعرفت اللي شيب شعري!

وليد بلهفة:

- عرفتي إيه؟

نهى بثقة:

- عرفت إنه جاسوس!

وليد بدهشة:

- نعم! جاسوس إزاي يعني؟

نهى بحماس:

- ياريت جاسوس بس ده بيهرب آثار وبيدخل مخدرات مصر، والأكثر من كده المصيبة اللي كان بيخطط ليها هو وناس من بره عشان ينفذوها هنا في مصر!

اقتربت نهى من وليد، وبصوتٍ منخفضٍ للغاية همست في أذنه:

- كان عاوز يقلب نظام الحكم!

فزعَ وليد ثلاث مرات في هذه اللحظة، الأولى من اقترابها وهمسها، والثانية مما قالت، والثالثة من صوت جرس الباب الذي دق فجأة دون توقف، تبعه دقات يدوية شديدة العصبية، وكأنّ زلزالاً بالمنزل أو كارثة كبرى حدثت للتو!

انتفض الاثنان، مضت نهى في المقدمة نحو الباب، انتظر وليد بعيداً يراقب نهى والقادم، فتحت الباب فوجدت العملاق حارس العمارة ثائراً وغاضباً:

- هو فين؟ فين اللي بيغفلني وعامل فيها دكتور؟ هو فين؟

أوقفته نهى قبل أن يدخل الشقة قائلةً:

- في إيه يا زفت أنت، أنت اتجننت!

عاد العملاق خطوة إلى الوراء، وبهدوء قال:

- الواد اللي عندك ده مش دكتور يا مدام، جمال بيه لسه مكلمني حالاً وبقوله الدكتور اللي سيادتك باعته مع المدام فوق، قالي دكتور إيه، الدكتور اللي كان المفروض ييجي لسه مكلمه امبارح بالليل واعتذر عشان مسافر بره مصر وقدامه أسبوع على ما ييجي!

وأردف بعصبية:

- قالي أطلع شوف مين اللي فوق عند الهانم، ده أكيد حرامي!

عاد العملاق مرة أخرى لصوته الغاضب:

- مليون في المية ده حرامي.. هو فين؟

حاول التملص من نهى للدخول:

- وسعي يا مدام.. هو راح فين؟

ثارت نهى في وجهه:

- أنت غبي وهتفضل غبي، هو أنا هدخل حد بيتي غير لما أتأكد وأطمن من شخصيته.

وقبل أن يخرج هاتفه للاتصال بجمال، خرج إليه وليد مصطنعاً الهدوء:

- أيوه.. فيه إيه؟ عامل دوشة ليه؟ خير يا سعفان في حاجة؟

نهى في محاولة إنهاء الأمر:

- خلاص يا دكتور، سوء تفاهم، هو فهم غلطته خلاص.

العملاق:

- ما هو جمال بيه هو اللي قالي شوف مين اللي فوق عند الهانم.. طب استنوا هتصل بيه أهو!

قبل أن يجري الاتصال قذفت نهى هاتفه بقوة، فسقط الهاتف أرضاً!

فاجأه وليد أثناء جمعه لأجزاء هاتفه المبعثرة:

- أنا يابني الدكتور اللي بعته أستاذي الدكتور اللي مسافر، أنا اللي المفروض أقيم حالة المدام على ما ييجي الدكتور من السفر، فهمت بقا؟

اقترب وليد من العملاق وجثا على ركبتيه، ساعده في جمع بقايا هاتفه، ووجه حديثاً إليه هامساً:

- شوفت بقا طريقتك، أهي رجعتلها الحالة بعد ما صدقنا إنها هديت!

وأردف بصوتٍ مرتفع:

- مدام نهى هتعوضك بمبلغ كويس عشان تشتري تليفون جديد يا عم.

وأشار بعينه إلى نهى، ففهمت ما يقصد، ذهبت إلى الداخل وأحضرت مبلغاً من المال، أعطته إلى العملاق الذي أخذ المال مُهذباً شاربه في وجل، وقبل أن يمضي قدماً طمأنه وليد بذكاء حين أخرج من جيبه بطاقة عمله بوزارة الصحة، رفعها من الظهر أمام أعين العملاق، فوجد شعار وزارة الصحة، فأخبره وليد بهدوء:

- اطمن وطمن جمال بيه.

عاد وليد إلى الداخل، وقبل أن تغلق نهى الباب في وجه الحارس قالت:

- يلا بالسلامة، انزل بقا طمن جمال بيه بتاعك.

العملاق:

- معلش يا بهوات، متأسف والله، ده جمال بيه هو الي....

قاطعته نهى:

- يادي جمال بيه، يلا مع السلامة!

وأغلقت الباب في وجهه، وقفت هي ووليد خلف الباب مباشرةً يتنفسون الصعداء، ضحكوا بسخرية على العملاق وجمال، اقتربوا من بعضهم البعض أكثر، تجرأت نهى وأمسكت يده بحنان، بدون تردد قبض هو الآخر على يديها بقوة، كادت أن تتلامس شفاهم، قبل أن تفيق هي سريعاً، ذهبت إلى

الداخل، دفعت سريعاً الأورق داخل الظرف ومعه الفلاشة، أعطته لوليد باستعجال قائلةً:

- يلا يا وليد، امشي بسرعة دلوقتي وخد الورق والفلاشة دول وإياك تضيعهم، ومتعملش حاجة إلا لما أقولك.

وأردفت:

- مش هوصيك تاني على الأمانة اللي في إيدك، فيهم نجاتي وفيهم حقي لو حصلي حاجة!

ربتت على يديه قائلةً:

- أوعى تسبني يا وليد.

أخذ وليد الظرف بلهفة، لم يشعر هو ولا هي أن بطاقة عمله سقطت منه دون أن يشعر، ربت هو الآخر على يديها بقوة قبل أن يخرج، طمأنها قائلاً:

- متقلقيش، أنا مصدقك ومش هسيبك أبداً، هفضل جنبك.. أوعي تخافي.

أعاد جملته الأخيرة، مودعاً إياها:

- أوعي تخافي وأنا جنبك.

****

١٩) مشاعر

"ركضَ حاملاً بين يديه عِبئاً ثقيلاً... "

ركضَ وليد مُسرعاً من شقة نهى حاملاً بين يديه عِبئاً ثقيلاً، كان العملاق قد ترك الباب الحديدي للدور مفتوحاً، وكان يجلس على الدرج متأهباً ومنتظراً في توتر وقلق، ومع ركض وليد على الدرج تعرقل به، لكنه تخطاه سريعاً، لم يُمهله للسؤال والجواب، واصل ركضه دون أن يتحدثا معاً إلا بنظرةٍ وإشارةٍ، أما النظرة فكانت كالسهم الشائك في صدر وليد، وأما الإشارة فأرسلت رهبةً غير مفهومة في قلب العملاق قبل أن يرحل وليد بعيداً عن العمارة وعن حي المعادي بأكمله!

في طريق العودة؛ استمر عقل وليد يراوده بالأفكار، لم يفكر إلا في نهى، في جمالها، في أنوثتها، وفي شعوره المُلتهب والمُتلهف منذ أن تشابكت أيديهما ومنذ أن اقتربت شفاهما خلف الباب، كان واضحاً أن قلب وليد يرتعش لأول مرة في الحياة، إلا أنّ هذه المشاعر توقفت عند استرجاع أزمتها الشديدة، فهي في مأزقٍ كبيرٍ، وبالرغم من إيمانه بصدق شهادتها وأنها على حق، وأنّ زوجها ما هو إلا شيطان لا يمت للإنسانية بصفة، إلا أنه في موقف ووضع أقوى من حيث نفوذه، وماله وعِملاقه!

عاد لمسألة جنونها التي فَصلّها العملاق، لم يُنكر أنه تشكك فيها كثيراً في البداية، استرجعت ذاكرته تناسق شرحها للأزمة، مال إحساسه أنها غير مجنونة عكس ما أشاعوا، أكد عقله ما شعر به قلبه فردد بصوتٍ مسموع:

- لا مش مجنونة.. لا.. لا!

كان هدفه الآن الوصول سريعاً إلى المنزل، فكان يتلهف لاستكمال ما بدأ قراءته، بيد أن سؤالاً محيراً صال وجال حول عقله وإحساسه ومشاعره:

- ماذا يمكن أن أفعل لو اتضح من هذه التسجيلات أنها على حق؟ هل أتصل بالشرطة؟

هدأ قليلاً بعدما تذكر جملة نهى الأخيرة قبل أن تلاحقه أسئلةٌ أخرى:

- " متعملش حاجة إلا لما أقولك ".

وصل وليد إلى منزله فوجد حمزة مع والده، لم يندهش، يعلم أنّ والديه يعشقان جلسات حمزة، بدأ بالترحاب:

- إيه ده أنت هنا يا ميزو، طب مكلمتنيش ليه ياض!

حمزة بدون اهتمام:

- وأكلمك ليه! أنا مش جايلك أصلاً.. أنا جاي لعمي وخالتي.

وأردف:

- وحشوني، أنت مالك أنت!

وليد ساخراً:

- يا حنين!

والد وليد:

- ابن حلال الواد حمزة ده والله، على طول بيسأل علينا وبيطمن.

وليد:

- ده بكاش يا بابا.. أنت بتصدقه!

حمزة مبتسماً:

- مش هرد عليك، وبعدين هو أنت كنت فين يا معلم من الصبح؟

وأردف بعد أن أشار إلى الظرف الذي يحمله:

- وإيه الظرف اللي معاك ده؟

انتبه وليد لما بين يده، ضم يده الأخرى سريعاً على عنوان الظرف كي يخفيه، الحركة نفسها أثارت شكوكاً في نفس والده وصديقه وحتى إجابته المهزوزة أثارت شكوكاً، حيث قال:

- مفيش.. ده أنت.. أنا كنت في المكتبة.

حمزة بضحك وسخرية:

- مكتبة إيه ياض، هو أنت بتعرف تكتب اسمك أصلاً!

حاول وليد تغيير دفة الموضوع وهم للدخول إلى غرفته قبل أن يسأله أحدهم أكثر من ذلك، قائلاً بابتسامة:

- أنت مش فالح غير في التريقة!

عاد والده يتحدث مع حمزة عن قلقٍ يراوده إلى حدٍ كبيرٍ من حال وليد هذه الأيام، لكن حمزة كعادته طمأنه بطريقته الساخرة، حين قال بسخرية:

- ما تجوزوا الواد ده يا عمي، خلينا نرتاح بقا!

****

٢٠) صمت

"متوغلٌ في حِملٍ ثقيل"

يعلم حمزة من داخله علِم اليقين بأنّ صديقه به شيء ما يشغل عقله ولا يود الحديث عنه لأحد، لم يحاول الضغط عليه لمعرفته بشخصية صديقه الكتومة، أما وليد فقد كان متوغلاً في حِمله الثقيل داخل غرفته، حيث أضاء مصباح مكتبه، واستكمل ما بدأه، فقرأ ما يلي:

"على من يقرأ رسالتي الآن أن يعلم أني قد غادرت الدنيا غدراً وظلماً، فإني أكتب هذه الكلمات وأنا على أبواب تنفيذ جريمته، فهو على مشارف الاحتفال بمقتلي، سيفعلها لا محالة، سيقضي عليّ دون أن يَشعُرَ بمقتلي أحدٌ من الناس!

لقد قتلني الخائنُ مرتين قبل هذه المرة، الأولى كانت بدمٍ باردٍ حين أخبر الناس بأنني جنّ جنوني، فصدق الناس كذبهُ وافتراءهُ، حتى أقربُ الأقربين، المُزيَفون والزَائفون صدقوه، ابتعدوا عني خوفاً من وصمة جنوني المؤذية، وأما الثانية فكانت الأشد والأصعب، فالخائن قتلني بحرماني من أطفالي الصغار!

بجانب هذا الخطاب تركت "فلاشة" بداخلها ما يثبت صدق رسالتي الأخيرة في هذه الحياة، تركت بها دلائل عن حقيقة هذا الخائن، فبها تسجيلات

لمكالماته الهاتفية، بها كل مصائبه وجرائمه بحقي وحق الناس والوطن، فلقد كشفته، هذه الحقيقة، فضحتُ أمره، لذا لا أشك في أنه سيقتلني، وأنتظر ذلك بفارغ الصبر، لا أخاف الموت، بل أنتظره ولا أخافه! وأعلم أنه لن يُترَك بجرائمه، فكيف يعيش خائن للوطن، كيف يُستأمن من باع تاريخ وآثار بلاده للأعداء بطرق ملوثة، ليجلب بمقابلها سموماً قاتلة ملأ بها البلاد عبر منفذه غير القانوني ليقتل بها مستقبل وزهرة شباب البلاد!

دلف حمزة إلى غرفة وليد فجأة، توتر وليد، وبلهفة وضع الظرف بالفلاشة داخل مكتبه، فسأله المقتحم باندهاش:

- فيه إيه يابني مالك؟ بتخبي إيه؟

لم يجِبه وليد، فاقترب منه صديقه، وبهدوء سأله مرةً أخرى:

- أنت كنت فين بجد؟

وليد بضيق وعصبية:

- مفيش حاجة.. هو كل حد هيقولي كنت فين ومالك وفي إيه!

حمزة:

- خلاص يا سيدي، متزعلش نفسك، أنا آسف عشان قلقان عليك!

شعر وليد بقلة ذوقه تجاه صديقه الوحيد، فدمدم متأسفاً:

- خلاص يا كبير، أنا آسف على طريقتي، متزعلش يا حمزة، معلش أصل أنا متوتر شوية الأيام دي!

وأردف بسخرية:

- بعدين من إمتى الحساسية دي! أول مرة أعرف إنك أنت بتحس زي البني آدمين.. تصدق أثرت فيا!

حمزة:

- متوتر من إيه بس! هو إحنا عمرنا خبينا حاجة عن بعض؟ قولي يا صاحبي إيه اللي بيجرى!

تأكد حمزة أنّ هناك شيئاً ما يدور في حياة صديقه دون أن يعلم عنه شيئاً، خاصةً بعد أن اختار وليد الصمت وعدم طمأنة صديقه!

ولما بلغ الصمت والكتمان أشدهما، استأذن منه حمزة، وقبل أن يخرج من باب غرفته، عاد إليه قائلاً:

- يا عبيط أنا أقرب الناس ليك، قولي إيه اللي بيحصل، محدش هيقف معاك ولا هيخاف عليك قدي!

تردد وليد قليلاً وكاد يقص على صديقه كل ما يدور، إلا أنه التزم الصمت مرة أخرى فتركه حمزة ورحل!

****

٢١) رجاء

"بالتمني والشُكر أنهت رسالتها ..."

ظل وليد جالساً على مكتبه بغرفته يحمل في نفسه ضيقاً بعد رحيل حمزة، فهو بالفعل لم يُخفِ عنه يوماً شيئاً، والآخر كذلك!

لم يعرف وليد لماذا لم يقصِصْ عليه ما يحدث؛ كان واضحاً أنه لا يريد إضاعة وقتٍ في السرد، كان متلهفاً أولاً لأن يرى ويسمع ليتأكد من كل شيء!

وها هو يستكمل قراءة المتبقي من الرسالة، والتي جاء بها:

"رجاء.. أرجو من المحقق ألّا يترك حقي يذهب هباءً، ستذهب روحي شاهدةً عليه، وعليكم أيضاً في حال تنازلكم عن حقي، إن مات جسدي دون قصاص لن تموت روحي، ستنتظر فرصة الانتقام من الجميع!

رسالتي الأخيرة لصغاري، أوصيكم بأن تكونوا رجالاً، لا تكونوا مثله، وأعتذر لكم على اختياري الخاطئ، آمنوا أنّ أمكم هي الضحية والبريئة، وأباكم هو المزيف والطاغية وهو الجاني، تذكروا أنه من جعلني خبيئة، حبيسة ووحيدة مثل طيرٍ منبوذٍ يبتعد عنه جميع السرب!

أخيراً.. شكراً لحامل الرسالة، عملك عظيم وستعلم غداً أنّ الله سيجزيك عنه خير الجزاء.

بخط يدي:

"**نهى مجاهد**"

بالرجاء والتمني والشكر، أنهت نهى رسالتها الورقية، ومنها تأكد وليد بنسبة كبيرة أن روايتها صادقة، إلا أنّه أراد تأكيد هذا الصدق الكامن في أعماقه بما تحتويه الفلاشة!

وبلهفة قام بوضع الفلاشة بحاسوبه الشخصيّ؛ ليجد أكثر من ملف مضغوط، حاول فتح أحدهم ولم ينجح، غالباً في هذه الأمور يلجأ لأخته ليلى، وبالفعل هاتَفَها، سألها عن طريقة فتح الملفات المضغوطة، لم يخبرها عن تفاصيل ما يريد فتحه، وهي أيضاً لم تسأله!

شرحت له ليلى الطريقة، فاستطاع أن يفتح الملفات، ومع لهفته واستعجاله لسماع ما بداخل الملفات ترك المكالمة مفتوحة مع أخته، حيث لم يغلق المكالمة دون أن يشعر، فاستمعت هي كما استمع هو!

وجد بالفلاشة صوتاً لرجلٍ واحدٍ يتحدث مع آخرين بجميع التسجيلات، فعلم أنّه بالتأكيد جمال، أما الأطراف الأخرى فتتحدث معه عن أشياء

تخص تجارة المخدرات والآثار وعن دول معادية، وعن ثورة يناير وأشياء مختلفة!

تأكد وليد بعد سماع التسجيلات أنّ كل الذي تحدثت به نهى صحيح بما لا يدع مجالاً للشك!

مر اليوم بوليد في قلق وتوتر مما سمع، لم يذهب إلى عمله بحجة مرضه وإرهاقه، أعاد سماع التسجيلات أكثر من مرة ليتأكد ويبني قراره الصحيح، فتأكد وأيقن أن من استنجدت به كانت فريسةً لمُجرمٍ عاث في الأرض فساداً، وأنّ إعدامه شنقاً يعد رأفةً به!

تعاطف وليد أكثر بحال مستغيثة المعادي، كان قراره واضحاً لا ريب فيه، وهو الاستمرار بلا تراجع في مساعدتها بكلّ الطرق الممكنة، فطرته ورجولته كانتا أشدَّ تأثيراً وأقوى من خوفه من زوجها صاحب الصيت والغنى، أزاح من عقله شكوكاً أخرى راودته لتحيده عن تلك الرؤية التي رآها وبناها حلماً وحقيقةً!

في مساء هذه الليلة جاءته ليلى قلقة ومذعورة مما سمعت، وجدته نائماً، لم توقظه، قررت الانتظار للصباح حتى تعلم منه ما هذا الذي سمعته بالمصادفة!

****

٢٢) كابوس

"حين يتحوَّل الخيال إلى واقع..."

في منتصف الليل، دوى صوت دقٍ متواصل على باب شقة وليد، كاد باب المنزل العتيق أن ينكسر بسبب هذا الدق المتواصل الذي أيقظ من بالبيت جميعاً إلا واحداً، واتجه المستيقظون فجأة فُرادى في اتجاه الباب بحذرٍ وخوفٍ!

أما وليد فلم يكن يشعر بدقٍ أو انكسارٍ قادم، فكان في سُباتٍ عميقٍ، كان يدور في فلك رؤيته الثالثة، كان يرى في منامه هذه المرة أنّ المرأة المستغيثة في المرتين السابقتين هي نفسها نهى، لكن تفاصيل الرؤية الحالية تختلف تماماً عن سابقيها، حيث رأى هذه المرة أنه لا يركض بكل قوةٍ وعزم وحده مثل الرؤيتين السابقتين، كانت نهى في يده، ومع ركضهما توقفا أمام رجلٍ قويّ البنيان، استطاع بقبضةٍ شديدةٍ من يده أن يجذب نهى من جوار وليد، فيما فشلت محاولاته من استخلاصها من بين يدي قبضة الرجل القوي، كان كمن يشعر بالشلل التام، بلسانه وبجسده كان يشعر بسكونٍ تامٍ، مثل شلل النوم الذي يعيشه الآن دون خلاص! وفي خضم مقاومته لشلل النوم وكابوسه الثالث أنقذه بعض الأشخاص، غرباء كانوا،

حقيقةً غير خيال كانوا يلتفون حول فراشه في تأهبٍ واستعدادٍ، أيقظوه عنوةً، فتحوَّل كابوسه المنامي إلى كابوسٍ واقعيّ!

فرك وليد عينيه أكثر من مرة حين انتفض من سُباته على هؤلاء، فرأى رجالاً يرتدون زياً شرطياً وآخرين بزيٍّ مدنيٍّ، جميعهم متراصون حول فراشه في منتصف الليل، ومن خلفهم يقفان والداه وشقيقته يبكون ويصرخون!

كان أبوه قد فتح باب منزله بعد أن استيقظت أسرته فزعاً عند الدق المتواصل، ولما فتح الرجل باب منزله وجد رجالاً من الشرطة تهاجم المنزل بقوة، وتسأل:

- ده منزل وليد أحمد الصباغ؟!

فأجابه رب الأسرة بقلق:

- أيوه، ده بيته وأنا والده.. خير! فيه إيه!

والتفت ضابط الشرطة ببصره داخل المنزل، وسأل سؤالاً آخر:

- هو فين وليد يا حاج؟

فأجابه الأب بقلق:

- موجود يابني في أوضته، نايم من بدري، خير يابني طمني الله يكرمك فيه حاجة؟

لم يترك الضابط لوالد وليد فرصة لأسئلة أخرى، انقض ورجاله في اتجاه غرف النوم وهو يقول:

- هتعرف دلوقتي كل حاجة يا حاج!

صُدِّم وليد من هذا المشهد المُستيقظ عليه بعد ركضٍ ومحاولاتٍ من استخلاص، لم يُدرك ماذا يحدث، وقبل أن يسأل، أمر الضابط رجاله:

- هاتوه!

وبالفعل قبضت الشرطة على وليد من فوق فراشة وسط صدمة وتعجب ودهشة الجميع، فسأل وليد بعصبية:

- فيه إيه؟

ووجه لأبيه نفس السؤال، قبل أن يتحدث الضابط بهدوء:

- مش عاوزين دوشة وشوشرة!

الحزن والخوف على وجه أسرة وليد في هذه اللحظات كان لا يوصف، كان يظن الجميع أن ثمة خطأ ما في الأمر، هكذا كانت تُحدثهم أنفسهم، قبل أن ينفعل وليد على الجميع أكثر، ويقول:

- إيه اللي بيحصل؟ أنتوا مين؟

أجابه الضابط بهدوء وثقة:

- أنت عارف كويس إيه اللي حصل يا وليد!

وليد بتعجب:

- لا معرفش؟ فيه إيه؟ أنا عملت أيه عشان كل ده؟

اقترب منه ضابط الشرطة وبنظرة حادة قال:

- أنت متهم بقتل مدام نهى مجاهد مع سبق الإصرار والترصد!

٢٣) اتهام

"يُضرَبُ به المثل.."

الصدمة التي عاشت فيها أسرة وليد بعد القبض عليه، كانت أقوى من الذبح، حرفياً كان شعور أهل المنزل في هذه اللحظات كالغارقين في براثن التيه، فما حدث أنّ الأب سقط أرضاً مغشياً عليه بلا حِراك بعد أن سمع جملة الضابط الأخيرة، وأما الأم فقد شحب وجهها وارتفع ضغطها لدرجة غير مسبوقة، فيما هرولت ليلى بينهما مُرتعشةً وتائهةً!

لم يستطع الوالدان تحمُّل الصدمة، لم يتخيّل أحدهما حدثاً مثل هذا أو ليلةً كهذه! استطاعت ليلى إفاقة والدها الذي استمر جاثياً على الأرض ينظر لابنه الذاهب أمامه بقبضة الشرطة بألمٍ دون حديث، ومثله تماماً كانت الأم التي شاخت من صدمة ما رأت، في حين حاولت ليلى السيطرة على نفسها بثباتٍ، قائلة:

- أكيد أنتوا غلطانين في الاسم يا حضرة الظابط!

وأردفت بثقة:

- وليد عمره ما يعمل كده، أنتوا متعرفوش أخويا، أنا بس اللي أعرفه!

وأضافت بدموع:

- ولو متأكدين من اسم اللي قتل الست دي، فأكيد أنتوا غلطانين في عنوان البيت!

واتجهت نحو أبيها الساقط أرضاً وأشارت بحماسٍ ودموع:

- أبونا أحمد الصباغ ده يشهد على أخلاقه كل الناس، مستحيل راجل الناس بتضرب بيه المثل يخلف ابن قاتل، لا يمكن أبداً!

تركت أباها واتجهت نحو أخيها، أمسكت يداه وقبلتها ببكاءٍ غير مسموع، ربتت على كتفه قائلة:

- متخافش.. إياك تتهز أو تفقد ثقتك في نفسك.. متخافش احنا جنبك!

ما قالته ليلي وما فعلته أثار دهشة الحاضرين والمشاهدين من بعيد، لم يجبها أحدٌ إلا بالدموع والقهر، فما كان ظاهراً على أصحاب البيت إلا قهر ودموع، كان واضحاً أنها تتحدث بثقة، حتى الضابط ورجاله وضح على وجوههم التأثر، لذا تركوها تخرج شحنتها دون مقاطعة، فلم يجادلها أحدهم!

وحين انتهت قال الضابط متأثراً:

- احنا بنفذ القانون يا أستاذة!

كاد وليد أن يجنّ جنونه، تلاعب عقله بالأسئلة.. هل قُتلت نهى؟ هل هي نهى الذي قابلها منذ ساعات؟ لماذا قُتلت في ذلك التوقيت؟ وكيف قُتلت؟ ومن قتلها؟

لخص عقله إجابة أسئلته المتتالية في مفهومٍ واحدٍ، وهو أنّها كانت صادقةً بكل كلمة كتبتها برسالتها!

لم ينتظر رجال الشرطة أكثر من ذلك، تحركوا بوليد سريعاً وسط حسرة وحزن أسرته، وقبل أن يدلف إلى سيارة الشرطة، شاهد حمزة القادم بالمصادفة المشهد أمامه، فانتفض مُسرعاً نحو صديقه المُكبل بالأساور الحديدية، سائلاً بتعجب:

- فيه إيه يا وليد؟ إيه اللي حصل؟

وأردف:

- واخدينك على فين؟

وليد:

- أنا معملتش حاجة يا حمزة!

وأردف:

- متصدقش وقول لبابا هو كمان ميصدقش!

لم يستطع حمزة إدراك ما يحدث، نظر فقط بعينين دامعتين لصديقه المُكبل داخل سيارة الشرطة التي تحركت به وسط ذهول الجميع!

****

٢٤) كاميرات

"هدمٌ للمعالم الإنسانية والروحية والجسدية.."

علم حمزة من ليلى سبب القبض على وليد، تعجب واندهش ولكنه كان مطمئناً، فطمأن والديه بأنه بالتأكيد هناك لَبس في الأمر، لم يستطع أحدٌ الانتظار، ذهب حمزة برفقة والد وليد وأخته إلى القسم المتواجد بداخله صاحبه، أما الأم فمكثت في المنزل تدعو الله أن يرفع ذلك البلاء والإعصار الفتاك الذي هدم المعالم الإنسانية والروحية والجسدية لتلك الأسرة في لحظةٍ واحدة!

وفي القسم؛ لم يستطع أحدهم مقابلة وليد في تلك الليلة لشدة الإجراءات وخصوصيتها، فالمقتولة سيدة كانت متزوجة لمحامٍ كبيرٍ له اسمه ووضعه بالمجتمع، هذا ما علموه من كلماتٍ متناثرةٍ بين جنبات القسم!

لم يجد حمزة حلاً إلا أن يأتي بمحامٍ على وجه السرعة، وبالفعل اتفق مع أحد المحامين وجاء به إلى القسم، لكن المحامي أيضاً لم يستطع العثور على معلومات أكثر من المعلومات المتناثرة، نظراً لتأخر الوقت، فالفجر كان على وشك البزوغ، لذا طلب من الجميع الذهاب للمنازل على وعد باللقاء في الصباح الباكر!

لم تغفُ أعينٌ لأحد في تلك السويعات المتبقية من الليل، تواجد الجميع قبل الثامنة صباحاً برفقة المحامي الذي دخل سريعاً إلى غرفة مأمور القسم وتبين له التفاصيل كاملة!

وبعد دقائق عاد إليهم بادياً حزناً، فسأله والد وليد بلهفة:

- طمنا يا متر إيه الحكاية؟

المحامي:

- الحكاية صعبة جداً يا حاج.. وليد متهم فعلاً بقتل ست في المعادي وللأسف كل الأدلة بتدينه!

ليلى بعصبية:

- إزاي الكلام ده، مستحيل يكون الكلام ده حقيقي.. استحالة يكون الكلام ده حقيقي.. مش معقول!

حمزة:

- فهمنا بس يا متر بالله عليك إزاي الكلام ده!

المحامي:

- اللي اتقتلت ست عايشة لوحدها في شقة داخل برج كامل بتاع طليقها، ووليد كان عندها امبارح!

تعجب الجميع، وواصل المحامي:

- القتل كان بعد ساعتين من وجوده عندها في قلب شقتها، والكاميرات جابته وهو خارج من باب العمارة بقلق وبيتلفت حواليه، واضح أنه كان خايف إن حد يشوفه!

وأردف:

- المصيبة الأكبر أن الكارنية الخاص بعمله بوزارة الصحة كان موجود بالشقة، معاينة المباحث عثرت عليه واقع تحت الطرابيزة في صالة الشقة!

ليلى:

- يعني إيه! أخويا راح؟

المحامي:

- إحنا عندنا أمل في ربنا إن البصمات تكون مش بصماته، وأعتقد إن ده الأمل الوحيد في القضية، هما أخدوا بصمات وليد عشان يضاهوها مع بصمات شقة المجني عليها، ده أملنا الوحيد اللي ممكن نتكلم فيه ولو حالياً على الأقل، إلى أن يجد في الأمر جديد ونوصل للجاني الحقيقي، خاصة إنها كانت عايشة لوحدها ومنفصلة عن زوجها، ويُقال إن السبب في كده إنها مريضة نفسياً!

وأضاف بحماس:

- أنا لازم أقعد مع وليد قبل أي حاجة.. لازم يقولي الحكاية كاملة، لازم يقولنا كان هناك ليه؟ وإيه علاقته بالست دي؟ عشان أعرف أساعده!

٢٥) حراسة

"من الخط الساخن إلى الآن.."

دلف وليد إلى غرفة المأمور مُكبل اليدين وبحراسة مُشددة، كان يغلب على ملامحه الوهن والألم، وجد والده وشخصاً آخر في انتظاره، علم سريعاً أنه المحامي الخاص به، فاستأذنهم المأمور لدقائق كي يترك لهم الغرفة وحرية للحديث.

احتضن الأب ولده باكياً:

- إيه الحكاية يا وليد، قولي يا بني وريحني.

وليد بثقة وحزن:

- أنت عندك شك يا بابا إن ممكن أعمل حاجة زي كده!

الأب:

- أنا متأكد إنك ما عملتش حاجة زي دي، بس أنا عاوز أعرف أنت إيه اللي وداك عند الست دي، تعرفها منين يا بني؟

قاطعهم المحامي:

- أنا المحامي بتاعك يا وليد، كل اللي أنا عاوزه منك تقولي بالظبط إيه العلاقة اللي ما بينك وبين المجني عليها.

وأردف:

- أنت في موقف خطر جداً، لازم تلحق نفسك وتقول كل حاجة عشان نعرف نساعدك.

وليد بثقة:

- ها أقولكم الحكاية كلها..

وبدأ يسرد القصة كاملة منذ المكالمة الأولى على الخط الساخن ١٠٥ وحتى هذه اللحظة الجالسين بها الآن!

خارج الغرفة وقفت ليلى وحمزة في قلق، الاثنان كانا في حالة يُرثى لها على الأخ والصديق، كلاهما يحاول تفسير ما يحدث، الأخت على يقين بأنّ الأمر في مجمله غير حقيقي وأنّ القصة كلها ما هي إلا مسألة وقت وستنتهي!

أما الصديق الذي يعلم كل شيء عن صديقه، المؤمن كمال الإيمان بأنه من المستحيل أن يفعل ذلك، عاد بالذاكرة للوراء، ثم تحدث أثناء شروده، وتساءل:

- إزاي حمزة يقتل وهو ميقدرش أصلاً يشوف فرخة بتدبح؟

- طب هو عرف نهى دي إزاي وإمتى؟ وهو أصلاً ملوش في السكة دي؟

- لا مش ممكن وليد يعمل كده!

أسئلة حمزة المشوشة وغير المتزنة جراء الصدمة أفاقته إلى شيء ما، حيث تذكر من منطقة المعادي مكالمة المستغيثة، فحاول الربط بينها وبين حال وليد المتغير في الأيام الأخيرة، وارتباكه عندما عاد بالأمس، وما كان يحمله في يده، فانتبه إلى أمرٍ ما!

****

٢٦) عودة الروح

"أمرٌ خفيٌّ أخفاه عمداً.."

أدرك حمزة أنّ هناك سراً ما كان يخفيه وليد، خاصة بعد رفضه الإفصاح عنه في لقائهما في منزل وليد بالأمس، تأكد بأنّ ثمّة علاقة ما بين ارتباك وليد وقتها وما يحدث الآن، آمن بأنّ ارتباطاً ما بين ما كان يحمله وليد ويخفيه عن الأنظار وقت عودته بالأمس حتى لا يراه أحد وبين القضية المتهم فيها!

تداعت الأفكار في عقل حمزة أكثر، واسترجع لحظة دخوله إلى غرفة وليد فجأة وكيف كانت ردة فعل صديقه المفاجئة، تذكر لملمتهُ للأوراق وتوتره المُبالغ فيه، بدأ يتأكد أنّ هناك أمراً خفياً أخفاه الصديق عمداً، ربما هو سر هذه القضية!

قاطعت ليلى أفكار حمزة بسؤالٍ مفاجئ:

- قولي يا حمزة وبصراحة.. هو وليد أخويا كان يعرف الست دي؟

أجابها حمزة بثقة:

- وليد مبيعرفش ستات غيرك أنتي والحاجة مامته!

وأضاف:

- وبعدين أخوكي ميعرفش يدبح فرخه يا ليلى يقوم يقتل بني آدمة، ده مستحيل، بس وليد....

ولم يستكمل، فسألته ليلى بتعجب:

- بس إيه! سكت ليه؟

حمزة بعد صمت وتردد:

- وليد متغير بقاله كام يوم وخصوصاً امبارح!

وسرد لها بالتفصيل ما حدث بالأمس، فثارت شكوكها هي الأخرى حين تذكرت التسجيلات التي استمعت إليها بالخطأ بالأمس، وكذلك تغير حال أخيها منذ الليلة التي جلس معها بعد عودته من العمل، كانت تعلم بأنّ أخاها به شيءٌ ما يزعجه ويقلقه منذ فترة!

في غرفة المأمور، عادت الروح إلى والد وليد بعدما تأكد من براءة ولده الذي سرد لهم تفصيلياً ما حدث ومكان وجود الفلاشة بالأوراق التي تثبت براءته!

خرج الأب برفقة المحامي من غرفة المأمور، فواجها ليلى وحمزة بوجهٍ مشرقٍ، فتساءل الاثنان عن وليد وعما حدث، طمأنهما والده والمحامي بأن وليد بريء، أعاد سريعاً ما سرده الابن، وطلب منهما أن يذهبا سريعاً إلى المنزل، والعودة بالأوراق والفلاش التي تُثبت براءته!

دلفت ليلى بلهفة ومن خلفها حمزة إلى المنزل، وجدت أمها تبكي وبجوارها والدة حمزة تهون عليها وتشدُ من أزرها، سألت الأم:

- طمنوني، أنا قلبي بيتحرق من الخوف والقلق على ابني يا ولاد.

جثت ليلى على ركبتيها أمام أمها، قبلت يديها في حماس وثقة، قائلةً:

- ما تخفيش يا ماما وليد بريء .

وأردفت ببكاء:

- وليد بريء يا ماما والله.

حمزة بحماس:

- يلا يا ليلى بسرعة هاتي الورق والفلاشة.. مفيش وقت!

الأم:

- ورق إيه وإيه الفلاشة دي؟

ليلى :

- دي أدلة البراءة يا ماما.

وأردفت:

- ادعيلنا أنتي بس يا حبيبتي

ودلفت بلهفة وحماس إلى غرفة وليد، واقترب حمزة من أمه، قبل رأسها ويديها، قائلاً:

- إن شاء الله خير يا ماما، ما تسبيش خالتي أم وليد، وإن شاء الله وليد هيرجع معانا.

والدة حمزة:

- ما تقلقش يا بني، خليكم أنتوا بس في اللي أنتوا فيه، وما تشيلوش هم خالص.. ربنا معاكم.

****

٢٧) تحقيق

"المكالمة الهاتفية الثالثة.."

فتحت ليلى مكتب أخيها فوجدت مظروفاً به أوراق وفلاشة، قرأت بصوتٍ مسموعٍ عنوان الرسالة "الذي قتلني"، اندهشت من عنوانها الغريب، مررت عينيها سريعاً على خطاب نهى، تعجبت مما تقرأ، لم تنتظر لتشغيل الفلاشة، لملمت كل الأوراق بالفلاشة وخرجت مسرعة إلى حمزة، قائلةً:

- يلا بينا يا حمزة.

وأردفت بحماس:

- تمام الحاجة كلها معايا.

حمزة:

- يلا بينا!

وصلا إلى القسم، تفاجأا بشرود وحزن والد وليد، كأنّ هناك أمراً ما حدث خلال تلك الفترة القصيرة، تساءلا عن السبب ولم يجبهما، في نفس الوقت طلب منهما المحامي الأوراق والفلاشة لفحصها قبل العرض على وكيل النائب العام في المساء.

مرت الساعات ببطء شديد وترقب على الجميع، حتى جاء موعد عرض وليد على النيابة، ودار بينهما الحديث التالي:

وكيل النيابة:

- اسمك وسنك ووظيفتك وعنوانك؟

وليد:

- وليد أحمد الصباغ، ٣٥ سنة، بشتغل إداري بوزارة الصحة، وساكن في شبرا.

المحامي:

- سعيد سليمان، محامي بالنقض والاستئناف، وحاضر مع المتهم.

وكيل النيابة لوليد:

- إيه علاقتك بالمجني عليها "نهى أحمد مجاهد"؟

وليد:

- ما قبلتهاش غير مرة واحدة في بيتها وعلاقتي بيها قبل المقابلة الوحيدة كانت عبارة عن ثلاث مكالمات!

وواصل:

- أول مكالمة جات في يوم وأنا بمارس عملي باستقبال استغاثات وزارة الصحة لمصابي كورونا، اتصلت بيا المرحومة على الخط الساخن رقم ١٠٥، وبعد ما عرفتها بنفسي زي أي مكالمة بنستقبلها، لقيتها بتبكي ومنهارة وبتقول خايفة والحقني، حاولت أفهم منها إيه الحكاية ولكنها قفلت المكالمة! بعد أول مكالمة أنا استغربت من بكائها وقفلها للمكالمة من غير ما تقول بتبكي ليه أو فيها إيه، تاني مكالمة كانت تاني يوم على طول، في اليوم ده

لما وصلت الشغل في ميعاد الشيفت بتاعي لقيت الدنيا مقلوبة عليا ومديري المباشر باعتلي يقولي في واحدة اتصلت عليك كتير وعاوزاك بالاسم، استغربت أكتر وحكيتله إنها أكيد هي بتاعة امبارح بعد ما قارنت نفس الرقم برقم اليوم اللي قبله، والمكالمة الثالثة وهي الأخيرة قبل المقابلة ودي اللي حركتني لبيتها عشان ألحقها وأساعدها، وكل المكالمات مُسجلة في الوزارة ما عدا المكالمة الثالثة كانت من تليفوني المحمول الخاص؟

وكيل النيابة:

- إيه تفاصيل المكالمة الثالثة؟ وليه اتحركت لبيتها؟

وليد:

- الحقيقية إن المكالمة الثالثة دي أنا اللي اتصلت بالمرحومة، كان عندي فضول غريب أعرف مالها الست دي وإيه حكايتها، ولما كلمتها قالتلي لازم تيجي البيت عشان تسلمني أمانة! ومش بس كده، دي أقسمت إن لو مرحتش هتموت نفسها وإني هندم العمر كله!

وكيل النيابة:

- ماذا حدث عند زيارتك لمنزل المجني عليها؟

****

٢٨) المتهم الأول

"وما ينتظرون إلا الأمل.."

لا تزال ليلى ووالدها وحمزة ينتظرون في توتر وقلق أمام غرفة تحقيقات النيابة، وما ينتظرون إلا الأمل، وما كان الأمل إلا في خطاب نهى والفلاشة وما تحتويه!

أما الأب فكان أكثرهم قلقاً بعد علمه أن زوج القتيلة أحد أشهر محامين مصر، وفي داخل غرفة التحقيقات لا يزال وكيل النيابة يستجوب وليد المتهم الأول في القضية!

أجاب وليد على سؤال كيل النيابة الأخير:

- محصلش حاجة غير إني دخلت البيت زي ما المرحومة طلبت مني في آخر مكالمة من غير ما حد يحس بيا، لكن البواب شافني ووقفني ولما سألني طالع لمين؟ كدبت عليه وقولتله إني الدكتور اللي جاي يكشف على الأستاذة نهى! وأردف: كان عندي فضول أعرف إيه حكايتها، فَتصرفت بالشكل ده، خاصة إنها مأكدة عليا إن أحرص من البواب؛ كان واضح من أسئلته إن في شكوك وإن فيه حاجة غلط خايف تتعرِف!

واستكمل:

- ولما طلعت الدور الخامس ومنه للشقة اللي في السادس لقيت زي ما قالت بالظبط، باب حديد مقفول بالجنازير الحديدية لمنع أي حد يطلع الدور السادس، اتأكدت إنها بالفعل كانت مُعتقلة ومحبوسة المهم إن دخلت الشقة وقابلتها وحكيتلي الحكاية اللي بتتلخص في إن جوزها هو اللي حبسها وهو اللي اتهمها بالجنون وإنها مش مجنونة، وجابتلي ظرف وفلاشة وأمنتني عليهم.. كان واضح إنها عاوزه تسيب الظرف بالرسالة اللي جواه والفلاشة مع حد بعيد عن جوزها وكل معارفهم لحاجة معينة في دماغها!

تدخل المحامي:

- الظرف والفلاشة يا فندم.. اتفضل

فتح وكيل النيابة الرسالة وقرأها، ثم وضع الفلاشة بجهاز الحاسوب الآلي، واستمع لما بداخلها، وأشار لكاتب الجلسة تدوين ما يلي:

- بعد استجواب المتهم الأول وليد أحمد الصباغ، أحضر محامي المتهم ظرفاً أبيض اللون يحمل عنوان "الذي قتلني"؛ ولما فتحنا نحن وكيل النائب العام الظرف وجدنا بداخله رسالة وكارت ميموري، وسيتم مراجعة وفحص ما بداخلها بالشكل القانوني المناسب.

ثم عاد ووجه سؤاله إلى وليد:

- وما أقوالك في وجود إثبات هوية عملك بمنزل المجني عليها؟

وليد:

- معنديش فكرة.. بس أعتقد إن الكارنيه وقع مني لما هددت بيه البواب بعد ما اقتحم الشقة بأوامر من جوزها عشان يطردني!

قاطعه المحامي:

- المتهم الحقيقي واضح للعيَّان يا فندم، وهو طليقها جمال النجار المحامي.

وكيل النيابة:

- بس الكاميرات جابت موكلك وهو داخل وخارج للبيت بيتلصص وخايف حد يشوفه، والبواب أكد على إنه كان شاكك فيه من أول لحظة وأنه طلع فوق عند شقة المجني عليها وحدث تشاجر لفظي بينهم!

المحامي:

- وموكلي لم يُنكر هذا.. لكن كلها محاولات لمساعدة السيدة المجني عليها بعد كل هذه الاستغاثات!

****

٢٩) استفاضة

"سوء حظ أم قدر من أقدار اللّه.."

قطع وليد حديث محاميه واستفاض بالحديث لوكيل النائب العام قائلاً:

- فعلاً كلام حضرتك صح، أنا دخلت وخرجت بحذر وده كان طلب المرحومة!

ثم صمت قليلاً وكأنه يعود بالذاكرة لملامح وجه السيدة التي ظهرت في حياته فجأة ورحلت في ومضةٍ من الزمن، واستكمل قائلاً:

- كنت قلقان في البداية إن أروح بيت واحدة معرفهاش، بس كنت مُتعاطف معاها ومشدود لحكايتها، ولما رُحت عندها اتأكدت إنها ضحية، ضحية كل الناس اللي تعرفهم قبل جوزها، ضحية الأهل اللي سابوها كده مُعتقلة بين العقل والجنون، بين الوحدة والفراغ، من غير ما يعرفوا الحقيقة!

وأردف:

- كانت محبوسة بين جدران شقتها لوحدها، مش بتشوف الشارع ولا الناس، حتى أولادها منعوهم عنها، والمانع هو الجاني يا فندم!

واستكمل:

- المرحومة ملقتش أي وسيلة استغاثة إلا تليفونها الأرضي اللي بيستقبل بس، وعشان الخط الساخن في الوزارة رقم مجاني ممكن أي حد يتصل بيه من غير أي اشتراك أو وسيلة دفع، اتصلت بينا، ومن سوء حظي إن المكالمة جاتلي أنا!

وواصل بتنهد:

- مش عارف هو سوء حظ ولا قدر من أقدار ربنا عشان الناس تعرف حقيقة إنسانة مسكينة، كانت عايشة ومش عايشة، عانت في حياتها ومماتها، إنسانة مغلوبة على أمرها، عاشت وسط قبضة حديدية مُحكمة، مقدرش أنكر إني اتأثرت بحكاية الست دي، مقدرش أنكر إن القدر اللي بعتني ليها هو نفسه اللي إداني القوة إن أقبل أستلم منها الأمانة دي، كلها أقدار ربنا.

وكيل النيابة:

- تحب تضيف حاجة تانية؟

وليد:

- حاجة أخيرة لو تسمحلي، هي طلبت في رسالتها اللي مع حضرتك القصاص من الجاني، وذكرته بالاسم، أرجو من حضرتك تنفيذ وصيتها عشان ترتاح ولو مرة واحدة، ولو كانت هي كده مرتاحة في قبرها!

وكيل النيابة لمحامي وليد:

- تحب تضيف أي حاجة يا أستاذ سعيد؟

المحامي:

- أطلب من سيادتكم الإفراج على المتهم ولو بكفالة مالية.

وكيل النيابة:

- أمرنا نحن أحمد الشريف وكيل النائب العام ما يلي:

أولاً: استدعاء خبير خطوط لفحص ومطابقة خط المجني عليها بالرسالة الموجودة وخطها الحقيقي، والاحتفاظ بالرسالة كحرز أساسي بالقضية.

ثانياً: استدعاء خبير تكنولوجيا الهواتف المحمولة للتأكد من صحة الأصوات والمكالمات المسجلة بالفلاشة والاحتفاظ بها كحرز أساسي بالقضية.

ثالثاً: استدعاء زوج المجني عليها المذكور "جمال النجار" للتحقيق.

رابعاً: استمرار حبس المتهم وليد أحمد الصباغ أربعة أيام على ذمة التحقيقات.

****

٣٠) مشاعر

"عابر بغير سبيل.."

خرج وليد والمحامي من مقر التحقيق بالنيابة، فوجد والده وأخته وحمزة ينتظرون بلهفه نتيجة ما أسفر عنه التحقيق، كان يبدو على وجه القادمين من غرفة التحقيق راحةٌ واطمئنانٌ، فاطمأن والده واستبشر من نظراته ومن جملته وهو عابرٌ من أمامهم بغير سبيل:

- متقلقوش.. اطمنوا وطمنوا ماما.

أما المحامي فوجه رسائل طمأنينة للحاضرين بأنّ الأمر في طريقه للحل وأنّ وليد قد أخبر النيابة بالحقيقة كاملة.

طلب المحامي من الحضور الذهاب إلى المنزل، مؤكداً أنّ لا داعي للبقاء، وأنه سوف يتابع القضية والخطوات القادمة؛ وبالفعل رحلوا إلى المنزل، وهناك أصرّ والد وليد أن يدلف حمزة للداخل.

كانت الأم في حالة يُرثى لها من القلق، اطمأنت من زوجها بعدما فهمت القصة كاملة، هدأت قليلاً واستكان روعها بالرغم من أنها في الأصل على يقين بأنّ ولدها لا يمكن أن يفعل ذلك، واستأذنت منهم لتحضير الطعام برفقة والدة حمزة.

في هذه الأثناء لم تستطِع ليلى أن تملك نفسها، كادت أن تنفجر أمامهم بالبكاء، فمضت بضياءٍ شاردٍ نحو غرفة أخيها، دخلت غرفته وأغلقت خلفها وانفجرت باكية، بكت بُحرقة وهي تتلمس أجزاء غرفة أخيها، وكأنها تبحث بين جدران الغرفة عن مُتنفسٍ يشعرها بأنفاسه المحبوسة!

شعر بها حمزة فتقدم ودق برفق غرفة صديقه الغائب، مسحت ليلى بيديها دموعاً لم تجف، أذنت لحمزة بالدخول، ولما دلف وجدها تبكي، فارتعش قلبه واهتزت مشاعره الصامتة والتائهة منذ سنوات، وكأنّ سراً ما كان ساكناً في قلبه استيقظ للتوّ من سُباته العميق، سراً ضاقت به الحياة ذرعاً، ولم تعد تستطيع كتمانه!

ما لا يعرفه أحد أنّ حمزة يملك مشاعر خفية لشقيقة صديقه، لكنّه يرى في نفسه أنه لا يستحقها لأسباب صارح بها نفسه كثيراً، أبرزها أنّها طبيبة وهو مجرد موظف عادي، ولأنّ إيمانه بأنها تستحق على الأقل طبيباً مثلها كتم مشاعره وابتعد بهواه إلى عالمٍ آخر من التجاهل، كان يحاول دوماً تجاهل مشاعره وأحاسيسه، وكان يبحث عن نسيان أمر عشقه الصامت حين استقر بعيداً في سهراتٍ ليلية ضالة ظناً منه أنها قادرةٌ على إبعاده عما يشعر به منذ سنواتٍ طوال، بيد أن الأزمات دائماً ما تقرب المسافات، فاقترب من حبه الصامت وعادت إليه المشاعر الساكنة مُلتهبة!

كان أحدهم وكان حكيماً يقول: إنّ القلوب والقلوب أقرب أصدقاء في الحياة، وهي حقيقة، والدليل أن ليلى كانت تغرق في عشق صديق أخيها منذ

الصغر، وفي صمت هي الأخرى، ربما كانت مشاعرها أكثر منه وأفيض، وإن أخفت هي الأخرى لأسبابٍ أخرى تختلف عن أسباب العاشق الصامت، وأما أسبابها فدارت في فلك الأخ والصديق والقيم والأخلاق، بيد أنها كانت تتمنى لو يُخبرها وتخبره، ودت لو يتقدم بخطوةٍ واحدة وتتقدم هي بخطواتٍ أكثر للعاشق الولهان!

****

٣١) هُدنة

"من موتٍ إلى حياة.."

لأول مرة في حياتهما يكونان بهذا القرب، وكأنّ الدنيا تهديهما هدنة في لحظاتها المؤلمة، اتجه حمزة ببطء نحو ليلى، رأى دموعها الممزوجة بالصمت، فبدأ الحديث قائلاً:

- قاعدة لوحدك ليه؟

لم تجب قلبها النابض بالرعشات الصامتة، ودت لو تقول كل شيء، بيد أنّ حجاباً من الخجل كان حائلاً بين الكلام والصمت، اقترب منها أكثر، تجرأ وأمسك يديها بخجلٍ، في حين لم تستطع هي جذب يديها المسافرة عبر الزمان في هذه اللحظات، وبودٍ قال:

- متخافيش يا ليلى.. كلها كام يوم وحمزة هيكون معانا.

جذبت يديها بهدوء من لمسات العاشق في الخفاء، وأجابته:

- يا رب

نظرة حمزة إلى عينيها المكسورتين كانت فاضحة، فعلى الرغم من أن حياة حمزة تختلف عن وليد إلا أنهما من كأسٍ واحدٍ ذاقا الطيبة والحنان، وإن بدا الأمر مختلفاً للأول لشعوره الدائم بأن هناك صعوبةً ما أقرب للمستحيل تبعده دوماً عما عشق منذ الطفولة، ربما شعوره تبدل الآن، فها هو يقف

وجهاً لوجه أمام فاتنته وخبيئة قلبه، وكأنّ القدر بنى أحداثه الأخيرة لأجل هذا اللقاء الذي تحول من موتٍ إلى حياةٍ!

حمزة:

- ليلى.

ليلى:

- نعم!

حمزة بتردد وخجل:

- عاوز أقولك حاجة، نفسي أقولهالك من وأنتي لسه طفلة صغيرة!

وأردف بدقات قلبٍ متسارعة:

- بس خايف!

بابتسامة عشق، رفعت رأسها، تمنت لو يعطيها قبلة الحياة التي تنتظرها من طفولتها الوحيدة، قالت:

- إيه بس يا حمزة.. خايف تقول إيه؟

حمزة:

- خايف أقول حاجة مش من حقي أقولها!

ليلى بابتسامة:

- قول بس كل اللي عاوز تقوله!

حمزة بحماس:

- عاوز أقولك إني....

ليلى:

- إيه يا عم مالك.. قول!

لم يمهلهما القدر للبوح بما في القلوب، لم يحن الوقت بعد، فوالد ليلى اخترق الحماس والخجل، قائلاً من بعيد:

- يلا يا ولاد الأكل جاهز.. يا حمزة.. يا ليلى!

****

٣٢) جمال النجار

"يبحث طريقه وسط الدروب"

دخل المحامي جمال النجار إلى غرفة وكيل النيابة برفقة عدد كبير من المحامين المتطوعين للدفاع عن زميلهم المحامي الشهير، خاصة أن خبر القبض عليه بتهمة قتل زوجته قد انتشر إعلامياً بشكل كبير!

جلس النجار أمام وكيل النائب العام، وبدأ التحقيق:

وكيل النائب العام:

- اسمك وعمرك وعملك وعنوانك؟

جمال:

- جمال منصور النجار، 46 عاماً، محامي بالاستئناف العالي، المعادي.

وكيل النيابة:

- أستاذ جمال هل تريد توكيل محامٍ للدفاع عنك؟

جمال:

- لا يا فندم.. أنا محامي نفسي!

بعد رفض جمال توكيل أحدٍ من المحامين القادمين معه، طلب وكيل النيابة من الفريق المتطوع الخروج من غرفة التحقيق لخصوصية القضية، واستكمل استجوابه للمتهم:

- ما هي طبيعة علاقتك بالمجني عليها نهى مجاهد؟

جمال:

- زوجتي.. قصدي كانت مراتي قبل الطلاق!

وأردف:

- وأم أولادي.

وكيل النيابة:

- المجني عليها تركت رسالة اتهمتك فيها ببعض الاتهامات الخطيرة؟

وأردف:

- أولاً - ماذا عن حبسها بالمنزل لمدة عامين بعد الطلاق؟

جمال:

- لم أحبسها مطلقاً، بالعكس كنت بحافظ عليها!

وكيل النيابة:

- كيف يصبح السجن حِفظاً؟

جمال:

- اسمحلي معاليك أسرد لك التفاصيل كاملة من البداية كي تعلم ما السبب في وضعها وحيدة بداخل شقتها!

وكيل النيابة:

- اتفضل

جمال بهدوء واتزان:

- بدأت الحكاية مع نهى لما شوفتها أول مرة، لم يكن إعجابي بيها شيء عادي، كان زي السحر اللي خطفني وخطف قلبي، كنت وقتها في أول أيام كفاحي في الدنيا، كنت لسه محامي صغير ومغمور -محامي يبحث طريقه وسط الدروب- كنت لا أملك مالاً للزواج، إلا إن إعجابي بنهى وبذكائها قدمني خطوات للجواز منها!

وأردف: واتجوزنا في شقة بباها اللي عمري ما أنسى جمايله عليا، وكانت حياتنا سهلة وجميلة لم تكن بها أي منغصات أو مشاكل، تحديداً العامين الأولين من الجواز، ربنا كرمنا فيهم بعمر ابننا بعد أول سنة، والدنيا فتحتلي طاقة السعادة والرزق، وفي العام التاني على طول حَملت نهى في ابننا التاني آسر، ومن بداية الحمل ده تحولت نهى للنقيض تماماً وكأنها أصبحت إنسانة تانية!

وكيل النيابة:

- ممكن توضح أكتر يعني إيه اتحولت لإنسانة تانية؟

استكمل جمال بعد لحظة صمتٍ وشرود، أصابت ملامحه حزناً، وأوضح قائلاً:

- حاولت كتير معاها، كنت عاوز أعرف إيه سبب الحالة العجيبة اللي لِبستها فجأة دي، مسبتهاش خالص، لفيت بيها عند كل الدكاترة وجميع التخصصات، كلهم أجمعوا إنها بتمر بحاله نفسية سيئة، وقالوا إن الحالة دي

مشهورة عند معظم السيدات طول فترة الحمل واسمها "اكتئاب فترة الحمل" ودي حالة بتصيب بعض السيدات بعد الولادة أو قبلها، ونهى للأسف تقريباً جمعت ما بين الاكتائبين، فهي كانت حملت في آسر بعد أربع أو خمس شهور من ولادة عمر، الدكاترة قالوا برضو إنها حالة مؤقتة لا أكثر ولا أقل، هتآخد وقت قليل وهترجع لطبيعتها، كنت صبور لأبعد درجة، اتحملت وحاولت أخرجها من الاكتئاب والتغير ده، لكن مفيش فايدة، بالعكس كانت حالتها بتسوء كل يوم عن اليوم اللي قابله!

وأردف: حالتها النفسية فعلاً كانت خطيرة، وصلت لدرجة الشكوك، الشك في كل حاجة، بعدها أنجبت آسر وكان عندي نفس الأمل لسه في شفائها وعودتها، لكن ده محصلش واستمرت هي في نفس الحال لأكثر من عامين، لحد ما ضاقت حالتي النفسية جداً!

****

٣٣) ارتياب

"بين الوهم والحقيقة.."

واصل وكيل النيابة التحقيق مع جمال النجار المستغرق في قَص حكايته مع زوجته القتيلة:

- بعد حوالي سنتين من ولادة آسر حصل الطلاق، مكنش ينفع نكمل وأسيب الولاد معاها أكتر من كدة، أفعالها كانت بتدل أن الموضوع مش اكتئاب بس، الموضوع وصل بيها للجنون، وبالفعل اكتشفنا كدة!

وأردف: بعد استمرار وتزايد حالة الشك والوهم، قررت أعرضها على أشهر الأطباء النفسيين في مصر، كلهم أجمعوا إنها مريضة بنوع خطير من فصائل المرض النفسي واسمه "ارتياب" أو اضطراب الأوهام، وهو مرض نفسي وعقلي شديد الخطورة لا يستطيع المريض فيه بأن يفرق ما بين الوهم والحقيقة، وأشهر أعراضه هو أن المريض يشعر دائماً وباقتناع راسخ وصلب بوهم غير حقيقي، وللأسف الشديد هذا المرض تحديداً هو اللي عصف بحياتنا!

وتوقف جمال قليلاً، بدا عليه الحزن، واستكمل:

- المرض ده هو اللي قضى على نهى الله يرحمها، اللي مكنتش إلا أرق وأذكى إنسانة في الدنيا!

وأضاف:

- معايا التقارير الطبية من أشهر الأطباء النفسيين في مصر!

طلب جمال من مساعده إعطاء التقارير الطبية لوكيل النيابة، وأردف:

- اتفضل حضرتك اطلع عليها بنفسك!

تفحص وكيل النيابة التقارير سريعاً، وواصل جمال النجار:

- غير الدليل المادي ده أنا وأولادي وأهلها وكل أقاربنا ومعارفنا ومحيطنا دليل عيني على كل الأحداث دي، كل الناس حوالينا شافوا حالة نهى، وللأسف كلهم اتأذوا من أفعالها!

وكيل النيابة:

- طب ليه ماحاولتش تدخلها مستشفى للعلاج؟

جمال:

- الحقيقة ماهنتش عليا أدخلها مستشفى، خوفت عليها وعلى ولادي من الوصم الاجتماعي اللي هيكون وصمة عار عليها وعليهم وعلينا كلنا طول العمر!

وأردف:

- لكن وفرتلها مستشفى خاصة في الشقة، دكاترة بتابع حالتها يومياً وهما موجودين ممكن حضرتك تسألهم وتتأكد بنفسك!

وواصل:

- كانت كل طلباتها مجابة، لكن بدون خروج من البيت طبعاً، ويمكن ده اللي حضرتك أطلقت عليه مصطلح حبس لكن هو مكنش حبس، كان خوف عليها وكان أمل إنها تتعالج وترجع تاني نهى اللي نعرفها.

****

٣٤) مستندات

"صورة شيطان في عقل من كانت زوجتي.."

استمرت جلسة التحقيق مع الزوج السابق للمجني عليها ما يزيد عن ساعتين، أفصح خلالها جمال النجار عن أشياء ربما تغير مجرى القضية والتحقيقات، فإنكاره التام بارتكابه جريمة قتل زوجته كان حاسماً بالدلائل وواثقاً بالمستندات، بيد أنّ عقبةً كبرى وقفت حائلاً عن إيمان النيابة بأقواله السابقة، وما العقبة إلا تلك الاتهامات الخطيرة الموجهة إليه من قِبل المجني عليها بالدلائل والمستندات أيضاً، حيث بادره وكيل النيابة بالسؤال:

- أستاذ جمال، المجني عليها تركت رسالة بخط إيديها وفلاشة بيها تسجيلات صوتية تدينك بالتخطيط لقتلها بعد أن اكتشفت ممارستك لأعمال خيانة للوطن وتهريب آثار البلاد وجلب مواد مخدرة.. ما أقوالك عن هذه الاتهامات؟

لم يبدِ جمال رد فعل صادم لتلك الاتهامات، بل على العكس ابتسم ابتسامةً حزينة، قائلاً بسخرية:

- الكلام الفارغ ده كله نتيجة الحقيقة اللي قولت لسعادتك عليها من بداية التحقيق، إن نهى بالفعل كانت مريضة بالارتياب، وهو المرض اللي وصل عقلها لهذه الاتهامات الأقرب إلى الجنون!

وأردف بثقة:

- هي أوهمت نفسها بحاجات من الخيال وصدقت أوهامها، وبعد ما صدقت الأوهام دي اتعاملت معاها على أنها حقيقة مُطلقة، هي قالت لي قبل كده كلام كثير من النوعية دي، إني خاين وجاسوس، وإني بتاجر في الآثار والمخدرات!

وسأل بتعجب:

- وهل هذا يعقل؟

وأضاف بثقة:

- يا معالي المستشار، ما أنا إلا مواطن مصري عاشق لتراب هذا الوطن!

واستكمل بحزن:

- أنا اللي اتبنيت قضايا وطنية بلا مقابل ضد التخريب وإثارة الفتن في البلاد بعد ثورة يناير ٢٠١١، وحتى وقتنا هذا.

وواصل:

- ثم إن جمال النجار الماثل أمامكم كان سبباً في استعادة عدد كبير من الآثار المصرية المُهربة إلى الخارج بعد انضمامي إلى عددٍ من محامي مصر الشرفاء في قضايا معروفة للدولة بحكم عملي كمحامي أمتلك رخصة

دولية، أما عن تجارة المخدرات فلا أجد ما أقوله، أتعجب كيف رأتني بهذا الوجه القبيح، شهادتي مجروحة عن نفسي، ولكن تستطيع النيابة والشرطة بالبحث عن تاريخي المهني والإنساني، فالمعروف عن مكتبي أننا لا نقبل أي قضية بها شبهة مخدرات من الأساس! خلاصة إجابتي على سؤال سعادتكم أني لم أكن يوماً هذا الرجل الذي صوره الشيطان في عقل من كانت زوجتي!

****

٣٥) ثروة

"هدف نبيل وأمل جريح.."

بهدوء وحزن ومرارة؛ استكمل جمال النجار دفاعه عن نفسه:

- بالرغم من كل الاتهامات والمرارة اللي حاسسها، إلا إني مسامحها.. ربنا يرحمها.

وكيل النيابة:

- أستاذ جمال، ممكن توضح كيف حصدت هذه الثروة المالية الضخمة خلال السنوات الأخيرة، خاصة إنك بتقول إن قبل جوازك من المجني عليها كنت بتعاني مادياً؟

جمال:

- الحمد لله، فعلاً أنا عانيت كتير قبل ما أوصل لي وصلتله حالياً، وزي ما بيقولوا نَحتُ في الصخر، زي معظم الشباب في بداية حياتهم، لكن أنا كان عيني على هدفي، والهدف هو إزاي أكون إنسان ناجح، والحقيقة إن الظروف ساعدتني كتير في البداية، خاصة بعد ما جاتلي فرصة من السماء لما ورثت قطعة أرض كبيرة عن عمي الله يرحمه، وده مثبوت في السجلات القانونية، الحقيقة إن الأرض اللي ورثتها دي أبويا الله يرحمه مكنش يعرف عنها حاجة، أبويا كان رجل نقي مش بتاع دنيا، كان عايش في نور ربنا، واللي

حصل بالظبط إنه كان يملك كتير من الخيرات اللي عمره ما دور عنها، كان إخوته هما المسيطرين عليها، كانوا بيبعتولنا فتات وكأنها زكاة، لكن بعد وفاة أبويا، عمي الكبير هو اللي صرف عليا خلال سنوات الجامعة، وبعد ما توفي فوجئت إنه كتب في وصيته قطعة أرض كبيرة ليا، وكتب في الوصية إنها كانت حق أبويا الله يرحمه، تقدر تقول إنه كان بيخلص ذمته قبل ما يقابل وجه كريم، وبعد كده بعت الأرض بمبلغ محترم، قدرت من خلاله أبني البرج وأفتح المكتب، وسعيت على رزقي ورزق أولادي وربنا فتحها عليا، خاصة بعدما حصلت على رخصة المحاماة الدولية!

واختتم جمال:

- دي قصة رأس المال والثروة من الألف إلى الياء، وكل الأوراق اللي تثبت كلامي موجودة في الملف مع حضرتك.

وكيل النيابة لجمال:

- تحب تضيف أي أقوال أخرى؟

جمال:

- عاوز أوضح لحضرتك إزاي نهى ركبت الصوت اللي فيه الاتهامات دي!

وكيل النيابة:

- اتفضل

جمال:

- نهى كانت عبقرية في التكنولوجيا، عاوز أقول لحضرتك إنها كانت تقدر تخترق أي موقع إلكتروني بسهولة، كانت عبقرية بمعنى الكلمة، رحمة الله عليها، فأعتقد إن مع الوهم اللي صنعه مرضها في عقلها، قدرت تركب الكلام ده على بعضه بأي شكل من الأشكال، أنا مش عارف إزاي بالظبط، وإيه الكلام اللي موجود في الفلاشة، بس أنا متوقع إنها استغلت ذكاءها في التكنولوجيا وعملت كده.

وأردف بحزن واضح:

- شكوكها وأوهامها بأنيّ رجل ضال، أو ضليت طريقي، وظنونها بانشغالي عنها صورلها إني كنت بعمل كل الخطايا دي في الخفاء، ربنا يشهد إني كنت بشفق عليها وعلى أحوالها وأحوال بيتنا اللي اتدمر!

وأضاف: أنا كنت بموت في اليوم مية مرة لما كنت بشوف ولادي بيصرخوا من الخوف والرعب من مامتهم، في الجحيم عشنا سنين، قبل ما أقرر الانفصال والبعد بالأولاد لعل وعسى يتبدل حالها وتعود نهى اللي أعرفها، وزي ما قولت لحضرتك في البداية إن هدفي كان أعالجها في البيت عشان مترُحشِ مستشفى الأمراض العقلية، وكان هدف نبيل وربنا العالم، كان عندي أمل إنها تخف وترجع حياتنا زي الأول.

وكيل النيابة:

- بعد الاستماع إلى أقوال المتهم جمال النجار، قررنا نحن أحمد الشريف وكيل النائب العام بما يلي:

أولاً: الاستعلام من الطب الشرعي عن نتيجة فحص بصمات المنزل المُرتكب به جريمة القتل.

ثانياً: فحص المستندات المقدمة من السيد جمال النجار طليق المجني عليها.

ثالثاً: الاستعلام من خبراء التكنولوجيا عن صحة التسجيلات الصوتية المرفقة بحرز القضية.

رابعاً: حبس المتهم جمال النجار الزوج السابق للمجني عليها نهى مجاهد أربعة أيام على ذمة التحقيقات.

****

٣٦) عجائب

"صورةٌ خياليةٌ آتيةٌ من عالمٍ من فانتازيا"

لا يزال وليد يجلس في الحبس منطوياً على نفسه، يستعيد بذاكرته ما حدث منذ الاتصال الأول بنهى، وحتى اللحظة التي استيقظ فيها على هجوم الشرطة واتهامه بقتلها، لم تضعه نفسه في دائرة التورط، فقط جلدته بالذنب، كأنها تلومه على تقصيره في حق من لجأت واستغاثت به في أحلك أوقاتها شدة!

لم يستطع وليد إسقاط صورة نهى من أذهانه، لا زالت تأسره كما أسرته في المكالمات الهاتفية واللقاء الوحيد، أيضاً لا يزال يرى أن زوجها السابق هو المسؤول الرئيسي عن دم هذه السيدة المسكينة، تمنى أن تُسرع التحقيقات ويراه وهو يُعدَم ليرتاح ضميره المستيقظ بالندم على جريمةٍ لم يرتكبها!

وفي أثناء أحلامه اليقظة المحبوسة داخل الجدران الأربعة، دلف الحارس وفي يديه أحد المتهمين، فقط قذفه للداخل دون ذكر اسمه:

- ادخل يا متهم!

لم ينشغل الضيف الجديد بالمتراصين أرضاً حول جدران غرفة الحبس، فقط شغله وضعه الاجتماعي المُهان، ومصير أطفاله إن لم يستطع إثبات براءته، جال بأنظاره حول مكانٍ ما يأويه بعيداً عن ملامح من إجرام تتربص

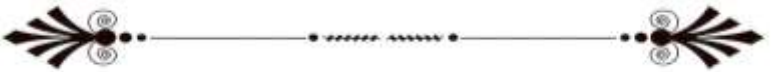

بأعينها عن صيدٍ جديد، اختار ركناً بجوار شابٍ ساكنٍ شاردٍ، فاقترب نحوه وجلس بجواره دون حديث، صمت كما يصمت الشارد بالجوار، شرد مثله تماماً، الاثنان منشغلان بقضيتهما المتصلة دون أن يشعران بأنهما المتهمان الرئيسان فيها!

الصورة الآن عجيبة، لا يتخيلها عباقرة كتابة السيناريو والحوار، وليد وجمال متلاصقان ببعضهما البعض، وكأنها صورةٌ خياليةٌ آتيةٌ من عالمٍ من فانتازيا!

لم تكن تعلم نهى حين كتبت رسالتها أنّ المتهم وحامل الرسالة سيجلسان سوياً بهذا الشكل العجيب في غرفة واحدة، لكن الحياة كعادتها مليئة بالعجائب والغرائب التي لا يتخيلها عقلاً بشرياً!

بدأ جمال حديثه مع الشخص الشارد بجواره قائلاً:

- مالك.. شكلك في دنيا تانية خالص!

لم يجِبه وليد، لم يشعر بدخوله أو جلوسه بجواره من الأساس، فعاد جمال قائلاً:

- يا أستاذ روق كده مفيش حاجة مستهلة.

وليد:

- نعم.. حضرتك بتكلمني! وأردف: متأسف مأخدتش بالي!

جمال:

- أنا شايفك مهموم، عاوز أقولك إنك مهما مريت بظروف صعبة ومعاناة، فيه ناس عانت أكتر منك، مش أنت لوحدك!

وليد بحزن:

- للأسف مشكلتي إن هي اختارتني من وسط ١٠٠ مليون بني آدم!

تعجب جمال من جملة الشخص الجالس بجواره، لكنّه لم يكن يتخيل أو يدرك أنّ المقصودة هي نفسها التي أودت به إلى هنا!

جمال:

- إهدى بس كده وصلي على النبي، واحكيلي حكايتك!

****

٣٧) مُغامرة

"يتوارثونه جيلاً بعد جيل.."

في حي شبرا كان الإرهاق والتعب والحزن يسيطر على عائلة وليد، حتى المنطقة والشارع كان حزيناً بما حل فجأة على هذه الأسرة المعروفة بخلقها الطيب، فإذا نظرت من بعيدٍ على هذه المنطقة العتيقة ستشعر بأنها باتت لياليها الأخيرة حزينة، هم يعلمون جيداً تربية وليد وحسن سلوكه، فإيمان الناس هنا كان راسخاً بأنه بريء.

العجيب في المناطق الأصيلة ذات العبق التاريخي كمنطقة شبرا، أن الناس يتوارثون جيلاً بعد جيل الإخلاص والوفاء بينهم البعض، فما يحدث أمام وداخل منزل أحمد الصباغ والد وليد ملحمة كبرى، وأكبر من ملحمة بمفهومها الحقيقي، فالناس تمد يديها بكل ما تملك لمساعدة الأسرة، ربما هذه الأشياء يتميز بها الشعب المصري على مر تاريخه، وها هي تظهر جلياً من أهالي منطقة شبرا مسلمين وأقباط، فلا فرق هنا بين دين ودين، ولا بين قسيسٍ وشيخٍ، ولا بين رجلٍ أو امرأةٍ، الكل هنا سواسية وقت الشدة!

وما بين ذلك كان عاشقا الخفاء في وادٍ آخر، هم على يقين ببراءة وليد، وأنّ الأمر كله مسألة وقت كما يقولون، لكن واديهم في هذه الأوقات كان في

هذا الاعتراف الصامت المفهوم من قلوب الطرفين بلا اعتراف من ألسنة عجزت عن التحدث!

لم يستطع حمزة أن يسيطر على مشاعره التي خطفت قلبه تجاه حبيبته، وكأنه كان يحلم حين جمعهما اللقاء، بيد أنّ ثمّة مشكلةً ما، كانت كالعقبة تجوب أفكاره بين الفينة والأخرى.

أما المشكلة والعقبة التي تحول دون استكمال المغامرة تمثلت في وعي حمزة نفسه، فوعيه وإدراكه بأنه كموظفٍ بسيطٍ لا يليق بطبيبة متفوقة كان يراوده كالعادة، كان دوماً حائلاً بين أحلامه وأفكاره، ربما لأنه لا يمتلك ثقة العاشق الثائر على الظروف للحصول على المحبوب، أو ربما لأنه بالكاد لا يزال لا يعرف أن محبوبته أكثر عشقاً له!

أما هي فلا زالت تعاني جفاء عينيها فوق الفراش، فما تزال تتقلب يميناً ويساراً على فراشها بقلقٍ وأرقٍ، فعلى جانبٍ تشعر ولأول مرة بقرب حبها الصامت، كانت تريد سماع اعترافه الذي تراجع قبل نداء الأب، ليته ما ناداها في هذه اللحظة – هكذا كانت تقول لنفسها!

أما الجانب الآخر فكان شعورها الحزين نحو شقيقها الحبيس، ولكنها كانت على يقين أنّ الحكم ببراءته والإفراج عنه لن يطول!

وأما حمزة فلم يكن إحساسه في الجانبين أقل من محبوبته، ففي جانبٍ هاتف مديرهما بالعمل وطلب منه إجازة له ولوليد، بحجة أنهما أصيبا بفيروس كورونا، فوافق المدير سريعاً على طلب الإجازة، طالباً منهما عدم

العودة إلا بعد التأكد تماماً من شفائهما، وأما الجانب العاشق فكان مهزوزاً، كان يشعر بأنه كان قاب قوسين من الحصول على الفرصة الحقيقية للاعتراف، لكن مع هذا رواده شعور بأنه بات على مقربةٍ تامةٍ من حلمه الصامت!

****

٣٨) مواجهة

"قدر لا يمكن لأحد تخيله.."

داخل الحبس؛ كان وليد يريد بالفعل أن يتحدث لأحد في هذا التوقيت، تمنى أن يبوح لأحد بما لم يبح به لغيره، أراد أن يُعبر بالكلمات لعله يستريح، ولأن القدر لا يمكن لأحدٍ تخيله، شاء أن يبوح لمنافسه وقرينه المتهم في نفس القضية والجالس بجواره مباشرة!

فبعد أن بادر جمال في الحديث مع الشخص المجهول المهموم بالجوار، بدأ وليد في استخراج الكلمات والمعاني من فوهة بركان قلبه المشتعل؛ فكانت المواجهة!

وليد:

- أنا اسمي وليد وبشتغل متلقي استغاثات فيرس كورونا بوزارة الصحة، وفي يوم جالي مكالمة كنت فاكرها عادية زي باقي المكالمات، لكنها كانت المكالمة اللي كانت سبب في وجودي هنا!

واصل وليد حكاية القصة كاملةً، فكانت صدمة لجمال الذي لم يكن يصدق ما يسمع، فعلم أنّ من يجلس بجواره هو المتهم الأول بقتل من كانت زوجته!

اندهاش جمال مما يَقصه جار الحبس والمتهم الأول بقتل زوجته جعله صامتاً ومندهشاً يستمع فقط، لم يكن يعرف ماذا يمكن أن يقول، فتركه يواصل حديثه للنهاية، ثم سأله:

- وهي نهى دي مكنتش مريضه نفسياً؟

وليد:

- لا خالص.. اللي قتلها هو اللي مجنون، مقدرش يتحمل إنها عرفت وساخته!

جمال بتعجب:

- وساخته!

وأردف:

- وأنت صدقت إن ممكن يكون حد في الدنيا زي جوزها كده!

وسأل بثبات:

- معقول فيه إنسان خاين وجاسوس وتاجر مخدرات وآثار.. كل دول مع بعض؟

وليد بثقة وقناعة:

- أيوه، البني آدم ده كده!

وأردف:

- نهى الله يرحمها كانت مسكينة، عذبها وقتلها حية وميتة.

جمال:

- ممكن أسألك سؤال واعذرني أني بتطفل عليك.

وليد:

- اتفضل!

جمال:

- هي ليه نهى كانت بتمثل رعب لأطفالها عمر وآسر؟ ليه محاولتش تسأل نفسك: ليه أولادها مبقوش يطيقوا يسمعوا اسمها؟

تفاجأ وليد بمعرفة جار الحبس غير المعلوم بأسماء أولاد نهى، فسأله:

- أنت عرفت أسماء أولادها إزاي؟ أنا مقولتش أسماءهم خالص في كلامي معاك!

جمال:

- عشان أنا أبو عمر وآسر!

انتفض وليد من صدمة ما سمع، فوقف أمامه يتفحصه بعصبيه شديدة، لم يتمالك نفسه، انهال عليه بالسب والشتائم والتطاول، تدخل المساجين، حاولوا فض الاشتباك ولم يستطيعوا، فكانت ثورة وليد شديدة على جمال النجار، الذي ظلّ صامداً وثابتاً لا يُجيب بأي ردة فعل، سوى كلمة واحدة قالها:

- أنت مش فاهم حاجة!

٣٩) دفاع

"على مرأى ومسمع مساجين الليل والنهار.."

انفضّ الاشتباك وهدأ الموقف داخل الحبس بين المتهمين الرئيسين في القضية، وجلسا كل واحدٍ منهما في اتجاهٍ مختلف، كان الصمت هو المتحدث بعد تراشقٍ لفظيٍ مُحتدم بين جدرانٍ أربعةٍ باهتة، بيد أن جمال لم يستطع الصمت أكثر من ذلك، فانهار بعد ومضة من الوقت، وقف وكأنه يرتدي ثوب المحاماة أمام القضاء، فأفاض دفاعاً عن نفسه وسط مرأى ومسمع المتهم الآخر ومساجين الليل والنهار، قائلاً:

- أنا الجاني، أنا المتهم بقتل أم أولادي، أنا المتهم بخيانة الوطن وأنا المتهم بتهريب آثار البلاد، وأنا المتهم بالتجارة في المخدرات، أنا المتهم في قلب نظام الحكم، وأنا.. وأنا!

وأردف:

- صدقوني أنا الجاني، أنا اللي جنيتُ على نفسي لما رفضت دخول طليقتي مستشفى الأمراض العقلية، يارتني ما عملت كده، يارتني كنت دخلتها بإيدي، يا عالم مش يمكن لو كانت راحت المستشفى مكنتش تتقتل!

بعدما لفت جمال نظر جميع المسجونين بطلاقة ولباقة لغته، اقترب نحو وليد، وتبدلت لغته، وانقلبت ثورته إلى هدوءٍ ورضوخ، وقال:

- هي ماتت وارتاحت، ربنا عافاها من مرضها، أنا بعترف قدامك أهو إني غلطت، كان المفروض أبعتها للمكان اللي تستحق تكون موجودة فيه من الأول!

وأضاف:

- أكيد هناك كانت هتلاقي رعاية طبية مش أقل من الأطباء اللي كانوا بيعالجوها في شقتها، قصدي في حبسها زي ما النيابة قالت!

ووجه جمال النجار سؤالاً لوليد بثقة:

- هل ده جزائي؟

وأجاب على نفسه سريعاً:

- أيوه ده جزائي! أنا أستحق كده وأكتر كمان، عشان جنيت على نفسي مش عليها!

وأنهى جمال دفاعه عن نفسه أمام غريمه ومساجين الليل والنهار، وكان واضحاً صدق كلماته من قسمات وجهه الحزينة ومن حديثه غير المتكلف.

ولأن شعوره صادق وحرقته وحزنه كان ظاهراً، وصلت براءته إلى وليد، تسلّل إليه في تلك اللحظات ولأول مرة شعورٌ آخر مختلفٌ، وكأنه -قد يكون- قد تلاعب به من نهى وأنّ جمال هو الأصدق في هذه الرواية ككل!

أعاد وليد إلى ذهنه المُشتت كل شيء، حاول ربط الأحداث بالكلمات، بيد أنه كان تائهاً، فلم يستطع الوصول إلى نتيجةٍ نهائية، فأفكاره كانت مُتضاربة

وعقله الذي جاب به يميناً ويساراً لم يتريّث للمراجعة الدقيقة للأحداث من قبل، فسأل نفسه عدة أسئلة بدت منطقية:

- لماذا لا يكون ما حدث وهماً؟

- هل كُنت أداة جنون نهى للنيل من زوجها البريء؟

****

٤٠) الرؤية الأخيرة

"ذهبت العقول إلى السكينة والخلود.."

صمت الجميع بعد ملحمة الصراخ والدفاع، ذهبت العقول بالأجساد إلى السكينة والخلود، أسند وليد ظهره على الحائط واستند بيده على وجهه، ورحل لعالمٍ آخر، فرأى نفسه وهو يخرج من متاهة الغابة التي دخلها في رؤياه السابقة، رأى نفسه يتنفس الصعداء بعدما كان يلهث من كثرة الركض، رأى أيضاً أن هذه المرة لا يوجد أحد يركض خلفه في الغابة أثناء خروجه منها، كما كان من قبل، لم يرى المستغيثة ولا الثعبان ولا الرجل قوي البنيان، كان وحيداً هذه المرة، كل ما رآه أنه وجد نفسه داخل مدينةٍ كبيرةٍ لا أحد ينظر إليه ولا يُعيره اهتماماً وكأنه غير مرئي، وبعد أن سار برهةً في قلب المدينة التفت وعاد بنظره إلى الخلف فلم يجد الغابة التي خرج منها للتوّ، ولما عاد بنظره إلى الأمام وجد والديه وحمزة وليلى وجمال النجار الذي كان يبتسم إليه ويربت على كتفيه بطيبةٍ وحنان، كان يشعر هذه المرة باطمئنانٍ وارتياحٍ غريبٍ، ومع الاطمئنان والراحة شاهد في زحام المدينة الكبيرة فتاةً تشبه نهى تسير في اتجاهٍ آخر، رأى نفسه وهو يصيح ويهتف بلا صوت، كان يحاول أن يصدَحَ ولم يستطِع، وكأنّ أحبال صوته قد توقفت فجأة، وبالرغم من محاولاته الفاشلة في لفت انتباهها، إلا أنّها

التفتت إليه بنظرةٍ غريبةٍ ممزوجةٍ بحزنٍ وابتسامٍ، قبل أن تعود وترحل بعيداً رافعةً يديها إليه بالسلام، ومع سلامها كان اختفاؤها من المشهد نهائياً!

استيقظ وليد عَرقاً محموماً كالعادة، وكان جمال النجار شريك الحبس والاتهام هو نفسه الشخص الذي أيقظه من رؤياه الأخيرة، التي كانت أقل رعباً من سابقيها، إلا فقط من نظرة نهى الغريبة وقتما ابتعدت واختفت!

نجح جمال النجار من تهدئة وليد، مسح بيديه مياه رأسه الساقطة من أقصاه إلى أقصاه كدفاتٍ من مطرٍ آتياً في موسمٍ غير موسمه!

اندهش وليد حين ربت جمال على كتفيه بطيبةٍ وحنانٍ، وبعدما ابتسم بنفس الابتسامة التي رآها في كابوس رؤيته الأخير!

استأنس وليد بمجاورة جمال، ألف أسلوبه الراقي وخلقه الحليم، بات يؤمن بأنّ ثمّة رسائل ربانية تُنير عقله المجذوب خلف رسالةٍ وأصواتٍ لا يعلم عن خلفيتهما شيئاً، بدأ يدرك أنّ هناك تفسيراً آخر في القصة برمتها، أصبح يؤمن بأنه وجمال النجار ضحايا جنونٍ حقيقيٍ أصاب سيدة المعادي!

بادر جمال:

- إنت كنت بتحلم بكابوس؟

وأردف:

- افرد ضهرك واشرب شوية مياه.

نفذ وليد طلب منافس الاتهام، وبعدما هدأ حاله واستكان، وجه أسفاً وشكراً لجمال:

- أنا آسف على الطريقة اللي كلمتك بيها، وبشكرك على تحملك

جمال:

- أنا مقدر كل اللي قولته، ومش زعلان منك، عشان عارف إنك اتخدعت واتورطت بدون ذنب.

وأردف:

- أقسملك بأن كل كلمة قولتهالك هي الحقيقة.

وليد بتردد:

- معلش ممكن تفسر لي التسجيلات اللي سمعتها بصوتك دي إيه؟

جمال:

- طبعاً مش حقيقة وحتتأكد من نتيجة فحص المكالمات إنها متركبة، أنت متعرفش نهى، ولا تعرف عقليتها في عالم التكنولوجيا إيه، أو بمعنى أدق كانت إيه قبل ما تدهور حالتها، لكنها مع المرض استخدمت تفوقها وذكاءها خطأ في المجال ده.

وأردف:

- دي كانت عالمة في التكنولوجيا!

تذكر وليد ما قالته نهى في لقائهما الأول والأخير أنها الأولى على دفعتها في مجال الحاسبات والمعلومات وأنها صممت برنامج هكر للدخول إلى هاتف من كان زوجها، فبدأت الحقيقة الكاملة تظهر أمامه عند شروق يومٍ جديدٍ،

بعد ليلةٍ بدأت بعجائب القدر، قبل أن تمر بتشابكٍ لفظيّ شديد القوى، ثم كابوسٍ مُزعج وتنتهي بودٍ وتقرُّب وفَهمٍ وإدراك.

أخيراً، ترتبت الأفكار بوجهها الصحيح في رأس وليد الصباغ، ومع هذا لم يفكر إلا بأنّ نهى لم تكن إلا ضحيةً ثالثةً، ضحية مرضٍ قاسٍ وفتاكٍ دهور حياتها وأسرتها وحياة آخرين ليس لهم ذنب إلا أنهم بشرٌ أنقياء!

لكن السؤال الذي بادر المتهمين الرئيسين في القضية بلا إجابة، كان:

- مَن قتل نهى؟

****

خاتمة

"من قتل نهى؟"

مرت الأيام الأربعة المحكوم بها نيابياً بالحبس على ذمة القضية على المتهمين الرئيسين بها وليد الصباغ وجمال النجار، والواقع أنّ الأيام الأربعة بأقدار أحداثها العجيبة قربت الرجلان بعضهما البعض، فبعد أن تأكدا وآمنا بما أفصحا، تبادلا التعارف أكثر، ونشأت بينهما صداقة.

وجاء اليوم الفصل، ففي صباح اليوم الخامس، التف عددٌ كبيرٌ من الداعمين للمحامي الشهير أمام سرايا النيابة، وكذا أسرة وليد وصديقه حمزة وآخرون من منطقة شبرا جاؤوا خصيصاً للوقوف بجوار عائلة الصباغ، وكان مشهداً شديد التأثر وهم يتكاتفون بالتضرع إلى الله بإخلاص لإنقاذ ابن الحي العتيق!

كان المتهمان الرئيسان في القضية قد تأكدا ببراءاتهما فيما بينهما قبل أن تُعلَن نتيجة الطب الشرعي وفحص خبراء التكنولوجيا، لكن السؤال الأهم للجميع، عمن قتل نهى؟ كان يراود عقولهم بلا إجابة!

وعند الظهيرة، كان الأمر قد حُسم لدى النيابة التي أمرت بحضور المتهمين وليد وجمال!

عَبَّر المتهمان مُكبلان بأساور حديدية في مشهدٍ مُهيب أمام الجميع، ودلفا سوياً إلى مكتب وكيل النيابة الذي أمر حارسيهما بفك الأساور المكبلان بهما، وبهدوء طلب منهم الجلوس!

وبدأ وكيل النيابة حديثه قائلاً:

- أولاً وأخيراً، وقبل كل شيء، أهنئكما على البراءة.

تهلل وجها المتهمين بابتسامةٍ حذرةٍ، وكأنّ فرحتهما غير مكتملةٍ، هما كانا يعلمان من البداية أنّ أمر البراءة مفروغٌ منه، لكن الأهم من البراءة مَن قتلها؟ هكذا تساءلت أنفسهم صمتاً قبل أن يواصل وكيل النيابة حديثه الذي أشار إلى معاونه كاتب الجلسة ليدوّن بها الآتي:

إنه في ذلك اليوم الخميس الموافق ١٦ من يوليو لعام ٢٠٢٠؛ نُعلن نحن أحمد الشريف وكيل النائب العام نتيجة الطب الشرعيّ ونتيجة الفحص الإلكترونيّ، وكذا نتيجة البصمات في القضية المعروفة باسم مقتل سيدة المعادي، وذلك بحضور وليد الصباغ المتهم الأول بالقضية وجمال النجار المتهم الثاني والزوج السابق للمجني عليها نهى أحمد مجاهد، حيث أوضحت نتيجة فحص الطب الشرعيّ بأنّ المجني عليها نهى أحمد مجاهد قد شنقت نفسها بعد أن قامت بتثبيتِ حبلٍ لإعدام نفسها، حيث قامت القتيلة بتثبيت الحبل بمقبضٍ حديديٍّ بصالة منزلها، وصعدت إلى حبل المشنقة بكامل إرادتها باستخدام أحد كراسي المنزل، ولما صعدت أعلى الكرسي

أزاحته بقدمها فالتف الحبل برقبتها، فأفقدها التنفس وزهقت روحها في الحال!

واستكمل:

- أما عن نتيجة البصمات فتبين أنّ لا أحدَ من المتهمين جمال النجار ووليد الصباغ توجد له بصمات على أي شيء من أدوات الإعدام المُستخدمة من قِبل القتيلة!

وأضاف:

- وعن نتيجة فحص التسجيلات الصوتية بالفلاشة التي تركتها القتيلة بحيز المتهم الأول وليد أحمد الصباغ، والتي تدين المتهم الثاني جمال النجار زوجها السابق بتهم جاسوسية وآثار ومخدرات، فاتضح بما لا يدع مجالاً للشك بأن جميعها مُفبركة وبتقنية عقلية خارقة عبر برنامج هاكر شديدة الخطورة!

واختتم حديثه:

- لذلك أمرت النيابة ببراءة المتهمين وليد أحمد الصباغ وجمال النجار وإخلاء سبيلهما من سرايا النيابة، والتصريح بدفن المتوفاة وحفظ القضية.

خرج وليد وجمال من سرايا النيابة، وذهب كلٌ في طريقٍ منفصلٍ، بيد أنّ طريقهما المنفصل كان ولا زال مُتصلاً بحزنٍ على سيدةٍ جميلةٍ فتك بها مرضٌ عقليٌّ مُدمرٌ!

وبعد فترةٍ قصيرةٍ لم يستطع جمال النجار أن يبقى في مصر، فهاجر بأولاده إلى ألمانيا باحثاً عن مستقبلٍ جديدٍ لصغاره بعيداً عن ذكرى ماضيهم الأليم!

أما وليد فكان أكثر ألماً، استمرت أحزانه لفترةٍ غير قصيرة، لم يقطعها إلا حِراكٌ حدث في منزله بعد أن تقدم صديقه حمزة لخطبة شقيقته ليلى التي قبلت دون تردد، في حين عاد وليد إلى عمله الإداري بوزارة الصحة بعد أن انقضت غمة فيروس كورونا وعادت الحياة لطبيعتها.

****

انتهت واللّه الموفق والمُستعان

محتويات الرواية

الإهداء.....4

مقدمة "رسالة نهى".....6

١) كارثة "غامض ومُبيد وقاتل للبشرية" 9

٢) طوارئ "ضغطٌ وإرهاقٌ وسيلٌ عارمٌ".....12

٣) صديقان "مُهتمٌ بتفاصيلها غير مُبالٍ بِجَدِها" 15

٤) استغاثة "الصوت أنثى وصداه مهزوزٌ آسفٌ".....19

٥) تشريح "شرود وحيرة وإرهاق زائل".....22

٦) ضمير "يَنشأ الصَغيرُ على ما كانَ وَالدهُ.. إنَّ العروقَ عليها يَنبُتُ الشَّجَرُ".....26

٧) رؤية "أخلص النية ترى...".....29

٨) تعليق.....33

"شرودٌ بين واقع وخيال" 33

٩) المعادي "تتخذ من القمر موقعاً إن غاب يوماً..." 39

١٠) تفسير "أضغاث.. لا تستحق عناء التفكير أو الندم!" 43

١١) ارتباك "شيءٌ ما على غير المعتاد..".....45

١٢) عودة "ربما فارغة العقل والوقت أو كما قال صاحبه.." 48
١٣) قرار "راوده أرقٌ وقلق عن نفسه.." 51
١٤) العملاق " كمسحورٍ من عالمٍ إلى عالم" 55
١٥) اللقاء "واشتعل من دِفئها جسدٌ كان خاوياً" 60
١٦) هلع "واقعٌ لا مجال للفرار" 63
١٧) الظرف "الواقع أصعب وأمر " 67
١٨) فزع "وما خفي كان أعظم" 73
١٩) مشاعر "ركضَ حاملاً بين يديه عِبئاً ثقيلاً... "..... 78
٢٠) صمت "متوغلٌ في حِملٍ ثقيل"..... 82
٢١) رجاء "بالتمني والشُكر أنهت رسالتها ..."..... 85
٢٢) كابوس "حين يتحوَّل الخيال إلى واقع..." 88
٢٣) اتهام "يُضرَبُ به المثل.." 91
٢٤) كاميرات "هدمٌ للمعالم الإنسانية والروحية والجسدية.." 94
٢٥) حراسة "من الخط الساخن إلى الآن.." 97
٢٦) عودة الروح "أمرٌ خفيٌّ أخفاه عمداً.."..... 100
٢٧) تحقيق "المكالمة الهاتفية الثالثة.." 104
٢٨) المتهم الأول "وما ينتظرون إلا الأمل.."..... 107
٢٩) استفاضة "سوء حظ أم قدر من أقدار الله.." 110

٣٠) مشاعر "عابر بغير سبيل.." 113
٣١) هُدنة "من موتٍ إلى حياة.." 116
٣٢) جمال النجار "يبحث طريقه وسط الدروب"..... 119
٣٣) ارتياب "بين الوهم والحقيقة.." 123
٣٤) مستندات "صورة شيطان في عقل من كانت زوجتي.." 126
٣٥) ثروة "هدف نبيل وأمل جريح.." 129
٣٦) عجائب "صورةٌ خياليةٌ آتيةٌ من عالمٍ من فانتازيا" 133
٣٧) مُغامرة "يتوارثونه جيلاً بعد جيل.." 136
٣٨) مواجهة "قدر لا يمكن لأحد تخيله.." 139
٣٩) دفاع "على مرأى ومسمع مساجين الليل والنهار."..... 142
٤٠) الرؤية الأخيرة "ذهبت العقول إلى السكينة والخلود.." 145
خاتمة "من قتل نهى؟" 149
محتويات الرواية 153

رواية
ارتياب في المعادي (طوارئ 105)
محمد أبو الخير ستو
الطبعة الأولى
1445 هـ 2024 م
دار ديوان العرب للنشر والتوزيع
مصر – بورسعيد

حقوق الطبع والنشر لهذا المصنف محفوظة للمؤلف،
ولا يجوز بأي صورة إعادة النشر الكلي أو الجزئي،
أو نسخه أو تصويره أو ترجمته أو الاقتباس منه،
أو تحويله رقمياً وإتاحته عبر شبكة الإنترنت،
إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف أو الناشر.